جامعة الجزائر

معهد اللغة والادب العربي

السندباد البحري وأوديسيوس

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الأدب المقارن

قدمتها الطالبة : مسلاتى نسيمة

باشراف الدكتور : أبو العيد دودو

السنة الدراسية 1986/85

"السندباد البحري وأوديسيوس"

بحث مقدم لنيل درجة الماجستير

خطة البحث

1) **المقدمة**

2) **المدخل** : العرب والثقافة اليونانية .

3) **الباب الأول** : التعريف بالقصتين العربية واليونانية .

أ ـ **الفصل الأول** : الصلة بين القصص الشعبي العربي واليوناني .

ب ـ **الفصل الثاني** : مغامرات أوديسية هوميروس .

ج ـ **الفصل الثالث** : مغامرات السندباد البحري .

4) **الباب الثاني** : المقارنة بين القصتين .

أ ـ **الفصل الأول** : أوجه التشابه والاختلاف على مستوى الرحلات .

ب ـ **الفصل الثاني** : أوجه التشابه والاختلاف على مستوى الشخصيات .

ج ـ **الفصل الثالث** : المقارنة الفنية .

5) **الخاتمة** :

النتائج التي انتهى اليها البحث .

المقدمة :

يؤدي الأدب المقارن كمنهج علمي حديث النشأة رسالة انسانية تهدف الى الكشف عن الروابط الاجتماعية والثقافية والفنية بين الشعوب وتوضح مدى امتداد الجذور الفكرية لكل شعب في الجذور العالمية ، ومدى مساهمة كل شعب في تطوير العالمية الفكرية ، ذلك لان الانسان ، مهما اختلف عن غيره في الظاهر ، نتيجة للبيئة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والجغرافية التي يعيش فيها ، فالقضايا التي تشغله وتشغل كل البشر واحدة والهموم التي تستأثر باهتمامه واهتمام غيره واحدة ، كالصراع من أجل البقاء والمساواة والعدالة الاجتماعية ، وقضية الموت والحياة ، وعداء الطبيعة للانسان ، والنصر والهزيمة . . . وغير ذلك .

الا أن هذا المنهج الحديث في دراسة الادب لم يحظ باهتمام وثقة الدارسين العرب في مختلف الاقطار العربية الا النزر اليسير منهم .

والدارس للادب العربي في مختلف عصوره يلاحظ أن هذا التراث الفكري الشرقي لعب دورا فعالا في تطوير التراث العالمي الانساني واثرائه كما يلاحظ أن هذا التراث يحمل في طياته من الاشارات والرؤى ما يدل على امتداد جذوره في تاريخ الفكر الانساني .

الا أن بعض مفكري العرب ودارسيهم الاكفاء رأوا في محاولة ربط هذا التراث الادبي العربي الأصيل بالتراث الانساني واعتباره امتدادا طبيعيا له ، انتقاصا من أصالته ، وأدى بهم دفاعهم المستميت عن موقفهم هذا ازاء ما يعتبرونه مفاضلة بين الآداب الى طمس بعض الحقائق التي من شأنها أن تثبت عكس ما ذهبوا اليه .

ومن هنا كانت الصعوبات التي واجهتني حين اخترت أن أقوم بدراسة مقارنة عن "السندباد البحري وأوديسيوس" حيث كان علي أن أثبت أن العقلية العربية كانت متفتحة دوما وتقبلت المؤثرات دون أن تفتقد أصالتها وخاصة في أزهى عصور الادب العربي أي العصر العباسي الذى تميز بظاهرتي التأثر والتأثير على حد سواء .

وسعيت من أجل هذا الهدف جاهدة في البحث عن المصادر والمراجع التي قد تمدني بما أحتاج اليه من مادة وتمكنت رغم الصعوبات التي لاقيتها من أن أحصل على بعض هذه الكتب الا أن بعضها الآخر لم أتمكن من الحصول عليه حتى الآن . ولعل صعوبة الحصول على المراجع كانت سببا رئيسيا في طول مدة انجاز البحث .

وقد تمكنت بعد المطالعة والدرس من معرفة المؤثرات الأجنبية التي لعبت دورا هاما في تشكيل ونشأة بعض القصص

الشعبي العربي ، ذلك القصص الذى أخذ بعض التراث العربي القديم مادة له ، كما أنه اعتمد في تشكيل مادته على تراث أمم أخرى اعتبر ولا يزال يعتبر جزءا هاما من تراث الانسانية وبخاصة التراث اليوناني الخالد .

ولم يكن بامكاني أن أتناول النصوص التي أخترتها موضوعا لبحثي بالدراسة في ضوء المنهج المقارن بمعزل عن ظروف الشعبين العربي واليوناني التاريخية التي ساعدت على تقريبهما عبر سبل مختلفة . وهذا ما قمت به في المدخل الذي خصصته للبحث، حيث تعرضت لتاريخ العرب والأمة العربية الاسلامية في صلتهما بالشعوب الأخرى عامة والشعب اليوناني خاصة وذلك على مستوى الفكر والثقافة .

ثم قسمت البحث الى بابين ، وخصصت الباب الأول بثلاثة فصول ، تناولت في الفصل الأول منها الصلة بين القصص الشعبي العربي واليوناني على ضوء العلاقات التاريخية واراء الدارسين. وتحدثت في الفصل الثاني عن مغامرات أوديسيوس بطل الملحمة الهوميرية ، أما الفصل الثالث فخصصته لمغامرات السندباد البحري ، بطل القصة العربية من ألف ليلة وليلة .

أما الباب الثاني الذي أتناول فيه المقارنة بين القصتين فقسمته الى ثلاثة فصول أيضا ، فصل أول تناولت فيه أوجه التشابه والاختلاف على مستوى الرحلات ، وفصل ثاني تناولت

فيه أوجه التشابه والاختلاف على مستوى الشخصيات ، وقصل ثالث وأخير قمت فيه بمقارنة فنية بين القصتين .

وأنهيت البحث بخاتمة أبرزت فيها ان أوجه التشابه مهما تعددت بين الأثرين المدروسين لا يمكن أن تطمس دلائل الأصالة في كل أثر ، تلك الأصالة التي جعلت كلا من هذين الأثرين اضافة لا تنكر للتراث الانساني العالمي .

ورجائي من كل هذا العمل أن أكون قد وفقت الى ابراز حقائق تاريخية تخص تراثنا العربي ولا يمكن اغفالها اذا أردنا أن نفهم هذا التراث فهما يجعلنا نعتز به دون أن نغرق في النزعات القومية المتطرفة والتفاخر الذي يعمي البصيرة ويوقف المسيرة ، مسيرة هذا التراث ليستمر في عطائه المعهود والقيام بدوره المنشود ألا وهو المساهمة في اثراء التراث الانساني العالمي ويكفينا فخرا واعتزازا أن كتاب الليالي الذي اخترت احدى قصصه موضوعا لبحثي - قصة السندباد البحري - قد غزا الغرب منذ أن ترجم الى اللغة الفرنسية على يد المستشرق الفرنسي " انطوان جالان ANTOINE Galland " ومن الفرنسية فيما بعد الى سائر اللغات الأوروبية ومنذ ذلك الحين راحت قصص الليالي تغذى بدون توقف الخيال الغربي وتنميه الى أن أخرجت جيلا بل أجيالا من عباقرة الانسانية ، نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر "غوتة" الألماني وهو غني عن التعريف.

وختاما لهذا لا يسعني الا أن أقدم شكري العميق الى أستاذي الكريم الدكتور / أبو العيد دودو والذي كان له الفضل في توجيه اهتمامي الى هذا الموضوع بالذات والاشراف على البحث حيث ذلل أمامي الصعوبات كلما ضاقت بي السبل وشجعني على بذل الجهد من أجل الوصول الى الهدف.

كما أتقدم بالشكر الجزيل الى كافة الأصدقاء والزملاء الذين قدّموا لي كل ما كان في وسعهم من مساعدة.

بسمة مسلاتي

- المدخل -

العرب والثقافة اليونانية

ان الحديث عن اتصال العرب في جاهليتهم وفي اسلامهم بغيرهم من الشعوب حديث تعددت فيه الآراء وتضاربت ، وكادت في بعض الأحيان تتفق على أن العرب كانوا في جاهليتهم مجتمعا ، عاش منعزلا عن العالم لا يتصل بمن حوله ، ولا يحتك بثقافات الشعوب المجاورة له ، بله البعيدة عنه ، الى أن جاء العصر العباسي ، فكان عصر ازدهار واتصال وعطاء وأخذ بين العرب وغيرهم . وقد ذهب أصحاب هذا الرأي الى أن العرب حال دون اتصالهم بغيرهم ماديا وأدبيا صحراؤهم الكبرى والبحر الذي أحاط بجزيرتهم من ثلاث جهات. (1)

والحقيقة أن مثل هذا الحكم على مرحلة تاريخية حضارية من حياة العرب يجعلنا نتساءل : هل اتصل العرب في جاهليتهم وبعد الاسلام بغيرهم من الشعوب ، أم لم يتصلوا ؟ .

فان هم اتصلوا كيف تم هذا الاتصال ؟ وان هم لم يتصلوا فما هي الأسباب التي حالت دون ذلك ؟ .

فاذا رجحنا الفكرة الثانية ، فمن المؤكد أننا حكمنا على العرب بالعقم ، وأسقطنا كل ما من شأنه ان يدعم أي دور قام به

---

(1) أحمد أمين - فجر الاسلام - مكتبة النهضة المصرية - القاهرة ط11- 1975 - ص12/ 29 .

هؤلاء ولو كان ضئيلا في مرحلة غابرة من مراحل تاريخ الحضارة الانسانية وهذا غير صحيح ، فكل أمة +او مجموعة بشرية مهما كانت حضارتها بدائية تؤدى دورها ازاء المجموعة الانسانية الكبرى . والعزلة الحقيقية غير ممكنة الا بعد الموت . ثم ان الموقع الجغرافى والطبيعة الجغرافية للجزيرة ، من حيث انها تطل على البحر الأحمر والخليج العربي والمحيط الهندى وتتوسطها الصحراء الكبرى ، وتتصل شمالا بالشام مهد الحضارات القديمة والديانات السماوية ، وملتقى الشعوب الشرقية والغربية ، كل هذا يفرض على العربي الاتصال بغيره سواء في الجاهلية أو فى الاسلام ، وأول مايدعوه الى هذا الاتصال الضرورة الاقتصادية والحفاظ على بقائه ، والعربى انسان مثل أى انسان آخر ، فهو لذلك في حاجة الى غيره . وكما قال أحد رواد الأدب المقارن الأوروبيين وهو فيلاريت شال PHILARETE CHASLES : " كل الناس يستعيرون من كل الناس ، هذا العمل الضخم من التحاب والتقارب كوني ومستمر" ...." ان كل شعب بدون تجارة فكرية مع الآخرين ما هو الا حلقة مقطوعة من الشبكة الكبرى " (1).

فمن الخطا البين ان نذهب مذهب هؤلاء الذين يضنون على العرب بأي نوع من أنواع الاتصال ويعتقدون أن آراء العرب وآدابهم وعلومهم لم تتغذ بغيرها ، ذلك لأن النظرة المتأتية

---

(1). CL. PICHOIS et AM. ROUSSEAU. La Litterature Comparée. COLL.U.2. ED. A. COLLIN. PARIS. 3ème Edition. 1967. P.17.(الترجمة شخصية)

الى واقع الدراسات التي تمت في هذا الحقل دلت، على ان العرب اتصلوا بغيرهم من الأمم حتى في جاهليتهم ، وان ديوان العرب وهو الشعر الذى يتكون منه أساسا أدبهم القديم قد يكون متأثرا قبل الاسلام بمؤثرات خارجية (1). وقد ذهب بعض الدارسين الى أن بعض هذه المؤثرات هلينية حيث قال : " ان التأثير الذى مارسه الأدب والفكر الاغريقيان على الحضارة العربية خلال القرنين التاسع والعاشر مسألة مسلم بها . ولكن لا نزال نجهل ان أول شعر عربي يحمل آثارا واضحة لتقليد الهلينيين" (2).

وقد تأكد من هذه الدراسات ان العرب كانوا على اتصال بغيرهم منذ الجاهلية ، وتمت هذه الصلة عبر جسور مختلفة وبوسائل متعددة ولأسباب كثيرة .

وقد تمثلت أول وسيلة تم من خلالها الاتصال في التجارة . والمعروف أن الجزيرة العربية كانت طريقا عظيما للتجارة بين مختلف مقاطعات الجزيرة والبلاد المجاورة ، أو حتى البعيدة وذلك عبر البر والبحر . وكان التجار يخرجون بتجارتهم قوافل عظيمة في استعداد وحيطة كبيرين . كما لا ننسى أن اليمن احتكرت التجارة قديما ثم ضعف شأن اليمنيين فخلفهم عرب الحجاز منذ القرن السادس للميلاد وكانوا ينزلون بتجارتهم في أسواق الشام ومصر وقليلا ما يبيعونها في أسواق فارس، لأن التجارة مع الفرس

---

(1) دى لاسى أوليرى ، الفكر العربي ومركزه في التاريخ ، ترجمة اسماعيل البيطار، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ص 92 .

2. VON GRUNEBAUM. L'Islam Medieval . Chap. IX. " Emprunt Createur". La Grèce dans les Mille et une Nuits. p. 341.

كانت في يد عرب الحيرة . وكانت القوافل التجارية المتجهة الى الشام تنزل في أسواق عينتها الحكومة الرومانية لتحصل على الضرائب المفروضة على الصادرات ولتراقب الأجانب القادمين ، كما كانت هذه القوافل تنزل بالعقبة ثم تنتقل الى غزة وهناك تتصل بتجار البحر الأبيض المتوسط (1) .

وبخصوص هذا العامل ، أى عامل التجارة يجدر بنا أن نوضح قيمته في الاتصال بين العرب وغيرهم من الشعوب ، فهذه التجارة المزدهرة لم تكن دون ريب مقصورة على تبادل البضاعة والنقود بل كانت تتعدى ذلك الى أمور أخرى معنوية وأدبية ، ذلك أن الوافد على الأمم المتمدنة تقع عينه على مسائل جديدة تختص بها مدنيات هذه الأمم ، ومما لاريب فيه أن كل وافد يقتبس من هذه المسائل الجديدة على قدر استعداده ، خاصة اذا ما وجد من بين أفراد القوافل التجارية من يعرف لغة الذين يتعامل معهم تجاريا ، وهذا هو شأن القافلة التجارية العربية التي كانت تضم بين أفرادها بعض سادة القوم (2) ممن كانوا على أتم الاستعداد لنقل بعض جوانب هذه المدنيات المرئى منها كالنظم والمباني والمعابد والمسموعات كالقصص والأدب ، وقد لايكون هذا النقل صادقا دقيقا ، الا أنه لايخلو من أثر في عقلية العرب (3) .

---

(1) أحمد أمين ، فجر الاسلام . المرجع السابق ، ص134 .

(2) دى لاسي أوليرى ، المرجع السابق ، ص 92 .

(3) أحمد أمين ، المرجع السابق ، ص 12 ومابعدها .

أما الوسيلة الثانية التي تم من خلالها اللقاء فتتمثل في المدن العربية التى انشأها الفرس والروم على تخومهم ، وكانت تشكل عمقا استراتيجيا لكل من الامبراطوريتين الفارسية والرومانية لأنها تدفع عنهما خطر الغزو العربي ، وقد أقيمت هذه المدن على أساس من مساعدة الفرس والروم حيث أمد كل منهما بعض القبائل العربية بكل الوسائل التى تساعدها على تنمية الزراعة وازدهارها لتتمكن من الاستقرار بهذه الأراضي وتكون بذلك حصنا منيعا للدولتين العظيمتين . وهكذا تكونت امارة الحيرة على حدود الفرس وامارة الغساسنة على حدود الرومان . وكان عرب الحيرة وعرب غسان يشكلون همزة وصل بين عرب الجزيرة وكل من الفرس والروم ، ويبشرون بمدنيتهما . وكان هؤلاء العرب اما نصارى أو مجوسا . كما كانوا أرقى عقلا ومدنية من عرب الجزيرة لمجاورتهم أعظم مدنيتين في العالم القديم ، وقد كان بعض عرب الحيرة يجيد اللغة الفارسية مما ساعد على نقل شيء من حضارة الفرس وآدابهم الى العرب ، كذلك تسرب الى عرب الحيرة شيء من علم اليونان وادابهم نتيجة تواجد المستعمرات التى كونتها الحكومة الفارسية من أسرى الحرب الرومانيين وكان من بين هؤلاء الأسرى من تثقف بالثقافة اليونانية . والتاريخ يشهد أنه كان لعرب الحيرة وأمرائهم وتاريخهم أثر كبير فى الأدب العربي والحياة العقلية للعرب عامة .

وكان عرب غسان أقرب اتصالا بالثقافة اليونانية والمدنية

الرومانية وقد حفل الأدب العربي بالقصص والأساطير والأمثال التي قيلت في الفساسنة وكان كل من عرب الحيرة وغسان على صلة وثيقة بعرب الجزيرة ، حيث أن شعراء من الجزيرة من أمثال النابغة الذبياني والأعشى وحسان بن ثابت وغيرهم كانوا يفدون على أمراء الحيرة وغسان فيحسن هؤلاء وفادتهم ، ليعرفوا بهم بين البدو وفى أنحاء الجزيرة .(1) علما بأن هذه القبائل العربية التي كانت تسكن الشام وبلاد ما بين النهرين كانت وثيقة القرابة بتلك التي كانت تنزل الحجاز مما يؤدي الى تعميق الروابط بينهم .(2)

وهناك وسيلة ثالثة كانت من بين أهم العوامل التي ساعدت على نشر الثقافة الأجنبية فى ربوع جزيرة العرب وتتمثل في انتشار اليهودية والنصرانية فى الجزيرة قبل الاسلام . وقد حلت اليهودية بالجزيرة العربية بعد أن تأثرت بالثقافة اليونانية تأثرا بالغا نتيجة وقوعها تحت الحكم الروماني في الشام ،الذى كان يوناني الثقافة، وانتشارها على شواطئ البحر الأبيض المتوسط الذى كان يغلب عليه طابع الثقافة اليونانية . وبالاضافة الى هذا كان من بين احبار اليهود من تعلم الفلسفة اليونانية وتأدب بأدبها فكانوا واسطة لتسرب الثقافة اليونانية الى اليهودية ، ثم الى العرب بحكم التعايش معهم .(3)

---

(1) أحمد أمين ، المرجع السابق ، ص12 وما بعدها .
(2) دى لاسي اوليرى ، المرجع السابق ص56.
(3) أحمد أمين ، فجر الاسلام ، ص 23 وما بعدها .

وكذلك كان الشأن بالنسبة للنصرانية التى تسربت الى الجزيرة عن طريق فرقتين كبيرتين كانتا منتشرتين فى امارتى الحيرة وغسان وهما فرقة النساطرة [1] وفرقة اليعاقبة [2]، فكانت النصرانية هي الأخرى قبل حلولها بالجزيرة تحمل في ثناياها عناصر من الثقافة اليونانية ، ولاغرو فهي احدى الديانات التي ولدت فى الشرق وانتشرت فى الامبراطورية الرومانية التي ورثت الثقافة اليونانية . وكان النساطرة - وهم منتشرون بالحيرة التي تقع على حدود فارس- على الأخص أكثر الماما بعلوم اليونان وقد ترجموا كثيرا من الكتب اليونانية فى اللاهوت والفلسفة الى اللغة السريانية وقد استعملت هذه الكتب التى خلفتها المدارس النسطورية لبث الثقافة اليونانية بعد انتشار الاسلام ، وبذلك كان النساطرة همزة وصل بين اليونان والعرب [3].

---

(1) النساطرة كانوا منتشرين بالموصل والعراق وفارس وهم اتباع نسطور الذى كان بطريقا للقسطنطينية فى بعض أيامه وقد توفى حوالي سنة 450 للميلاد . وتعد النسطورية من أشهر طوائف المسيحية بعدما انقسمت النصرانية الى عدة فرق . انظر " الملل والنحل " للامام أبى الفتح الشهرستانى ، دار المعرفة، بيروت ، لبنان ،ط 2 ، 1975، المجلد الأول ،الجزء 2 ، ص 64 / 66 .

(2) اليعاقبة كانوا منتشرين فى مصر والنوبة والحبشة وهم اتباع يعقوب الرهاوى (حوالي 640 - 707) . واليعقوبية من اشهر طوائف المسيحية هى الأخرى . انظر" فجر الاسلام" لأحمد أمين ،المرجع السابق ص 125/ 132 .

(3) أحمد أمين ، المرجع السابق ، ص 25 وما بعدها .

ويبدو جليا من خلال عرض هذه الجسور الثلاثة التي تعتبر من أهم عوامل اتصال العرب بغيرهم ، أنه من الخطأ البين الانتصار للفكرة الشائعة القائلة بعزلة العرب ، ذلك لأن العرب كانوا منذ جاهليتهم على اتصال بغيرهم وتعدى هذا الاتصال المستوى المادي ليرقى الى المستوى الفكري والثقافي .

هذا عن العرب في جاهليتهم ، فبماذا تطالعنا الكتب التاريخية عن العرب بعد الاسلام ، والمسلمين الذين أصبحوا يخضعون للحكم العربي ؟ .

بعد مجيء الاسلام ، خرج العرب من الجزيرة ، وقد أصبحوا أمة واحدة وهبّوا لفتح البلاد الواسعة ونشر الديانة الجديدة ، وبعد قرن من الزمن أصبح سلطان العرب يمتد من الخليج الى المحيط الى شبه جزيرة ايبيريا والى حدود الصين شرقا . وأصبح الفاتحون العرب خلال العصر الأموي حكاما لهذا العالم الاسلامي المترامي الاطراف ، وتوفرت لهذا سبل اتصالهم بأولئك الذين كانوا في الحقيقة ذوي ثقافة أكمل من ثقافة حكامهم . ورغم الموقف المتعالي والمتعصب الذي وقفه العرب آنذاك من غيرهم ، فقد تم بينهم وبين الشعوب الاخرى تبادل عظيم على المستوى الفكري ، وبدأت الجماعة الاسلامية بالتالي تمتص المؤثرات الهلينية في مختلف المجالات (1) .

---

(1) دي لاسي أوليري ، الفكر العربي ومركزه في التاريخ ، ص76.

ومنذ ذلك الحين لم تعد الثقافة العربية من صنع العرب وحدهم ذلك لأن اللغة العربية أصبحت وسيلة الاتصال في جميع أنحاء العالم الاسلامي آنذاك وأصبحت في متناول الفلاسفة والعلماء والمؤرخين واللغويين والمشرعين الذين كانوا اما فرسا أو أتراكا أو بربرا من جهة المولد رغم استعمالهم للغة العربية في الكتابة (1).

كما أن المدن التي أنشئت بالبلاد المفتوحة كانت قد أسست على مدنيات قديمة مثل العراق الذى كان السريانيون منتشرين في أرضه قبل الفتح ، وكانت لهم مدارس يدرسون فيها الآداب اليونانية. كذلك " كان في الحيرة يونانيون مثقفون من أسرى الحروب الفارسية اليونانية ، مما أدى الى تسرب آراء وأفكار يونانية خمدت أثناء الحروب ثم استيقظت بعد أن استقرت سياسة البلاد ودخل كثير من أهل العراق الاسلام ، وأخذت تصطبغ بالصبغة الاسلامية ويزهر منها مايتفق والاسلام ويذبل منها ما يخالفه " (2).

أما الشام الذى يقع شمال جزيرة العرب ، فكان هو الاخر أرضا تعاقبت عليها مدنيات مختلفة ، منها الفينيقية والكلدانية والمصرية والعبرية واليونانية والرومانية وقد أورثت هذه المدنيات الشام

---

(1) دى لاسي اوليري ـ الفكر العربي ومركزه في التاريخ ، ص91/ 92.
(2) أحمد امين ، فجر الاسلام ، ص 182.

علمها وثقافتها كما اشتهرت به كثيرٌ من المدن التى كانت مركزا للعلم والحركة العقلية مثل صور ، وانطاكية ، وصيداء ، وبيروت ، ودمشق وحمص . وهذه الأرض " أورثها الفينيقيون حروف الكتابة والعبريون التعاليم الالهية واليونان المذاهب الفلسفية والرومان النظريات الفقهية "(1) . هذا بالاضافة الى التأثير النصرانى الذى تعرضت له القبائل العربية التي هاجرت الى الشام على اثر الفتح العربي ، كعرب قبيلة قيس وقبيلة قضاعة وقبيلة كلب . وكانت هذه القبائل قد توطنت بالشام قبل مجيء الاسلام ، فوقعت تحت تأثير الكنيسة المسيحية والدولة الرومانية (2) .

فتح المسلمون بلاد الشام ونشروا بها اللغة العربية وتعاليم الاسلام ، فأقبل عرب الشام على تعلم لغة قريش ، ثم تبعهم أهل الشام أنفسهم فبدأوا يتعلمون اللغة العربية ويتكلمون بها مع لغتهم الارامية أو اليونانية (3) .

وكانت دمشق مركز الخلافة الاموية مقصدا للعلماء من كل صقع ولكن خلفاء بني أمية لم يشجعوا الحركة العلمية ، وشجعوا

---

(1) أحمد أمين ، فجر الاسلام ، ص 187 - 188 .

(2) يوليوس فلهوزن ، تاريخ الدولة العربية من ظهور الاسلام الى نهاية الدولة الأموية ، ترجمة د . محمد عبد الهادى ابو ريده ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة 1958 ، ص 126 .

(3) أحمد أمين ، المرجع السابق ص 188 .

الحركة الأدبية والقصص الرسمي ، ففتحوا أبوابهم للشعراء والخطباء وبذلوا لهم الأموال وعينوا القصاص في المساجد " (1) .

وبهذا الوجود في سوريا وقعت الخلافة الأموية تحت التأثير الاغريقي (2) .

أما مصر فقد فتحها المسلمون والثقافة اليونانية الرومانية منتشرة بها . وأصبحت مصر منذ دخلها العرب مركزا علميا وسياسيا في المملكة الاسلامية ، وانتشر فيها في البدء علم الدين . ولكن هذا لايعني أن الثقافة اليونانية الرومانية ، التي كانت منتشرة في كل من الشام والعراق ومصر قد أمحت آثارها ، انما يعني أنها خضعت لقوة الحركة الدينية بعد الفتح وما أن استقر الوضع حتى استرجعت نشاطها وقوتها بعد أن أضفت عليها التعاليم الاسلامية طابعها ، ولكن نشاط هذه الثقافة المتجددة لم يظهر الا في آخر الدولة الأموية وصدر الدولة العباسية (3) " وكانت الاسكندرية ، على الأخص ، مجمعا للمذاهب الفلسفية والطوائف الدينية وملتقى الآراء الشرقية والغربية وكانت أحد مراكز الثقافة اليونانية منذ أسسها الاسكندر الاكبر " (4) .

---

(1) أحمد أمين ، المرجع السابق ص، 164 .
(2) دى لاسي أوليرى ، الفكر العربي ومركزه فى التاريخ . ص62 .
(3) دى لاسي أوليرى ، ص 62 .
(4) المرجع السابق ، ص 190 .

والجدير بالذكر هنا ان المدارس السريانية التي كانت منتشرة في هذه الأراضي المفتوحة - العراق ، الشام ، الاسكندرية - قبل الاسلام ظلت مفتوحة بعد الفتح الاسلامي لهذه البلاد . وكانت السريانية وهي احدى اللغات الآرامية ، لغة العلم والادب لجميع كتاب النصرانية ، كما كانت المدارس الدينية تعلم اللغة السريانية الى جانب اليونانية في مدن الرها ونصيبين وجنديسابور. والفضل في نشر الفلسفة اليونانية في العراق وما حولها يرجع للسريانيين الذين نقلوا الكثير من الكتب اليونانية الى لغتهم حتى أن بعض الكتب اليونانية فقد أصلها اليوناني وأصبحت الترجمة السريانية الاصل الباقي لها .(1)

الا أن السريانيين لم يقتصروا على الترجمة من اليونانية بل ترجموا أيضا من اللغة الفهلوية الى السريانية . وكان من بينهم من تأدب بآداب اليونان ومن أشهرهم السرياني " سرجيس الرسعني " الذى ترجم كتبا يونانية كثيرة الى لغته السريانية، وبعضها محفوظ الى الآن في المتحف البريطاني .(2)

وقد أسلم بعض السريانيين بعد الفتح الاسلامي لبلادهم وأخذت الآداب السريانية في الضعف ، الا أن المسلمين كانوا في العصر الأموى قد تتلمذوا عليهم في المدارس السريانية ، وأخذوا

---

(1) دى لاسي أوليرى ، ص 190 .
(2) أحمد أمين ، فجر الاسلام ، ص 131 .

عنهم الفلسفة خاصة .

وخلاصة القول أن الثقافة اليونانية كانت منتشرة في البلاد التي فتحها المسلمون ولاسيما بلاد ما بين النهرين والشام . وكان السريانيون أهم واسطة لنشر هذه الثقافة ، مما حذا بالعرب الى الاهتمام بلغتهم وقد روت كتب الأخبار أن عبد الله بن عمرو ابن العاص كان يقرأ بالسريانية (1) .

ولعل تأكيدنا على اللغة السريانية والمام بعض العرب بها مرده الى أن اللغة ، متى أصبحت مشتركة بين الفئات الاجتماعية أو بين الأفراد ، يسرت سبل الاتصال بينهم . واللغة السريانية كانت في مرحلة ما من تاريخها واسطة لنقل الثقافة الهلينية الى اللغة العربية (2) .

الا أن العصر الأموي لم يكن عصر ازدهار للثقافة العربية الاسلامية وانما كان مرحلة انتقالية تم فيها اتصال العرب بكثير من الشعوب التي دخلت الاسلام وخضعت للسلطة العربية ردحا من الزمن ، ولا شك أن ثقافات هذه الشعوب غذت الثقافة العربية علما بأن " عهد الترجمة لم ينتظر مجيء المأمون ولا كان وليد رغبته الجارفة في الثقافة الهيلينية وانما كان قد بدأ في عهد الدولة الاموية بين سنتي 105 و 132 للهجرة " (3) .

(1) أحمد أمين ، فجر الاسلام ، ص 131 .
(2) دى لاسي أوليرى ، الفكر العربي ومركزه في التاريخ ص 9/ 11 .
(3) احسان عباس . ملامح يونانية في الادب العربي ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، لبنان ، 1977 ، ص 11 .

والتمازج الحقيقي بين مختلف الثقافات الذى أدى الى ازدهار الثقافة العربية لم يتم الا في العصر العباسي ، وذلك عن طريق الترجمة التي حظيت بعناية خاصة في هذا العصر منذ خلافة أبي جعفر المنصور وأخذت تتسع حركتها فى عهد الرشيد ، الى أن بلغت عنفوانها فى عهد المأمون الذى أدرك ، بحكم ثقافته الواسعة ، ما للترجمة من قيمة فى تطور الحضارة العربية فوفر للرجال الاكفاء فى ميدان الترجمة المال وحرية الفكر . وراسل الملوك وأرسل لهم وفودا من العلماء للتزود بما يحتاجون اليه من كتب ، وكان كل ذلك يجرى فى " بيت الحكمة " وهى أكبر مؤسسة علمية فى العصر العباسي ، تم تأسيسها على يد الخليفة الرشيد ثم اعتنى بها ابنه المأمون من بعده .(1)

وكانت بغداد عاصمة الدولة العباسية أفخم مركز نهضت فيه الحياة العقلية ووجدت فيه جميع ثقافات العالم من يهتم بها ويعترف بقيمتها .(2)

وازداد فى العصر العباسي رقيّ الحياة الادبية والعلمية بعد أن نقل الى اللغة العربية ما للحضارات والثقافات الأخرى من معارف وعلوم وهكذا تمازجت في الثقافة العربية فى هذا العصر

---

(1) عبد الله شريط ، تاريخ الثقافة فى الشرق والغرب ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر 1983 . ص 79 و 91 / 92 .

(2) المرجع السابق ، ص 78 / 79 .

ثقافات مختلفة ومدنيات شتى . وقد امتزجت الثقافة العربية التي كانت تعتمد على القرآن وما يتصل به من علوم دينية، وعلى الشعر وما يتصل به من فنون أدبية ، بالثقافة اليونانية التى كان لها فى الشرق مراكز متعددة قبل ظهور الاسلام ، نشأ بعضها بعد فتوحات الاسكندر الاكبر والبعض الآخر نتيجة لتوفر العلماء والفلاسفة الذين التجأوا الى هذه المراكز فرارا من الاضطهاد (1) .

والحقيقة أن الدولة العباسية التي قامت بعد سقوط الحكم الأموى ، أشرفت بنفسها على الحركة العلمية ، وخاصة حركة الترجمة . وكان علماء المراكز التى ذكرت آنفا هم الذين قاموا بنقل الثقافة اليونانية من لغاتهم الى اللغة العربية . وبهذا العمل العظيم دخل التأثير اليوناني فى الثقافة العربية ، ونجت الثقافة اليونانية من خطر الضياع الذى كان يتهددها . ذلك لأن العرب استطاعوا ، بفضل حركتهم هذه أن يحفظوا قسما كبيرا من تراث اليونان وأن يقدموه الى الانسانية مضافا اليه جهودهم الخاصة (2) .

كذلك امتزجت الثقافة العربية بالثقافة الشرقية عن طريق الفرس أو الهنود أو عن طريق الأمم السامية المنتشرة في العراق كالسومريين والبابليين (3) .

---

(1) عبد الله شريط ، تاريخ الثقافة فى الشرق والغرب - المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1983 . ص 80 .
(2) عبد الله شريط ، المرجع السابق . ص 80/ 81 .
(3) المرجع السابق ، ص 80/ 81 .

ويعتبر العنصر الفارسي أكبر مساعد على نقل الثقافة الهلينية (1) لما كانت تشكله هذه الثقافة من وزن لدى الفرس في اطار بسط نفوذهم على الامبراطورية الرومانية البيزنطية منافستهم الكبرى آنذاك وحاملة الثقافة اليونانية، كما أنه ساعد على امتزاج الثقافة الفارسية بالثقافة العربية عن طريق انتشار اللغة العربية واتقانها من طرف الموالي واشتغال عدد منهم بالأدب (2) .

ونستنتج من كل هذا ان التمازج العميق الذى حدث بين العرب وغيرهم من الشعوب في العصر العباسي أدى الى احداث أثر عميق في الحياة الثقافية العربية .

وحركة الترجمة التي ازدهرت في العصر العباسي وأسهمت بقسط وافر في أحداث هذا الأثر العميق في الحياة الثقافية العربية ، عرفت مشاهير من المترجمين كانوا ينتمون الى طوائف وقوميات متعددة من يعاقبة ونساطرة وسريان واقباط وفرس ويهود ، ومن أشهرهم أسرة " آل بختيشوع " من مدرسة " جند يسابور " و" آل حنين " من نصارى الحيرة ، وخاصة منهم حنين بن اسحاق ، وابنه اسحاق ، وابن أخته " حبيش " وبعض رفاقهم

(1) دى لاسي أوليرى . الفكر العربي ومركزه في التاريخ ص 83 .

(2) راجع في هذا الشأن كتاب تاريخ الحضارات العام م . 1 " الشرق واليونان القديمة " لاندريه ايمار وجانين أوبوايه، ت فريد داغر وفؤاد أبو ريحان – منشورات عويدات ، بيروت ، باريس، ط 2 ، 1981

الآخرين الذين كونوا مجمع المترجمين الذى أسسه المأمون في بغداد عاصمة العباسيين الجديدة لنقل الكتب اليونانية، والنصوص الفلسفية والعلمية الى العربية. وقد شغل حنين الذى كان نصرانيا نسطوريا بالترجمة من اليونانية الى السريانية ثم الى العربية، وهو الذى ترجم " أورغانون " أرسطو المنطقي الذى يشمل كتابي الخطابة والشعر، وكتاب " السفسطة " لأفلاطون من اليونانية الى السريانية ثم الى العربية. (1)

ومن المترجمين عن السريانية " أبو بشر متى ابن يونس القنائي " وهو من أهل دير القديس مرماري الذى يقع قريبا من بغداد جنوبا حيث توفى سنة 940 للميلاد. وقد نقل الى العربية كتابي " البرهان والشعر " لأرسطو". (2)

كذلك نجد من بين المترجمين المشهورين " قسطا بن لوقا البعلبكي " وهو نصراني استقر ببغداد، كان ملما باللغات اليونانية والسريانية والعربية وترجم العديد من الكتب اليونانية لأفلاطون وأرسطو وفلوطرخوس

---

(1) دى لاسي أوليرى، المرجع السابق، ص 48.

(2) كار بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، تر.د. عبد الحليم النجار، دار المعارف، مصر، 1977، ج 3، ط 4، ص119/ 120.

وغيرهم[1] .

وممن نشطوا في الترجمة عن اليونانية " ابن سنان" الطبيب المهتم بالفلك ، و " البتاني " المهتم برصد النجوم وغيرهما . وممن نقلوا عن الفارسية " ابن المقفع " وآل نوبخت" و" الحسن بن سهل " وكانت كتبهم أدبية اجتماعية ، وعن الهندية " منكة " وابن دهن " وهما هنديان[2] .

وان دل هذا على شيء فانما يدل على أن العلوم المتصلة باللاهوت والفلسفة وسائر العلوم الاسلامية قد غرست جذورها اليانعة في تربة مشبعة بالثقافة الهلينية[3] .

وبعد ثمانين عاما من سقوط الحكم الأموى ، أصبح العالم الناطق باللغة العربية يمتلك نسخا عربية لجل كتب أرسطو ، وكتب شراح الأفلاطونية الحديثة ، وبعض آثار أفلاطون[4] ، كما أصبح يمتلك نسخا عربية لكتب نقلت عن الهندية والفارسية .

وتجدر الاشارة الى أن الكتب السريانية والفارسية التي تم نقلها الى العربية في خلافة المنصور وبناء على أوامره كانت هي الأخرى مترجمة عن اليونانية والسنسكريتية[5] .

---

(1) كارل بروكلمان ، المرجع السابق ، ص 97/ 103 .

(2) عبد الله شريط ، المرجع السابق ، ص 92/ 94 .

(3) دى لاسي أوليري ، المرجع السابق ، ص 50 .

(4) دى لاسي أوليري ، المرجع السابق ، ص 93 .

(5) دى لاسي أوليري ، المرجع السابق ، ص 95 .

بعد هذه الجولة التي قادتنا عبر مختلف عصور الأدب العربي ، انطلاقا من عصره الجاهلي الى عصر ازدهاره العباسي ، فوقفنا في كل عصر منها على ما كان للعرب من صلة بغيرهم والسبل التي أدت الى هذه الصلة ، وما أفادته ثقافة العرب ، ثم الثقافة العربية من هذا اللقاء والتمازج في بعض الأحيان لا يسعنا الا أن نقول ان الأدب العربي كان ، عبر تاريخه الطويل الذي يزيد عن خمسة عشر قرنا ، متفتحا على آداب الأمم التي تحيط به ، ونصوص هذا الأدب تحمل في كل عصر من عصوره من الاشارات والشواهد ما يدل على قيام صلات تارة قوية وتارة أخرى ضعيفة بينه وبين الآداب الأجنبية ، الا أن عصرين من بين هذه العصور شهدا قيام أوثق الصلات بين الأدب العربي والآداب الأخرى وهما العصر العباسي والعصر الحديث (1) .

وبما أن موضوع بحثنا لا يتجاوز العصر العباسي فينبغي لنا أن نذكر عن صلة الأدب العربي في العصر العباسي بآداب الأمم الأخرى " ان الأدب العربي في العصر العباسي اتصل بآداب تاريخية اذ أن العرب وضعوا انذاك أيديهم على تراثين

---

(1) د . عبد الحكيم حسان ، اعمال الملتقي الدولي حول الأدب المقارن محاضرة بعنوان " صلات الأدب العربي بالآداب الاجنبية " . ديوان المطبوعات الجامعية ـ الجزائر 1985 ، ص 82 .

ثقافيين عظيمين هما : التراث البهلوى والتراث الهليني ، ذلك ان انتشار اللغة العربية في ايران بعد الفتح أدىَ الى تقلص الثقافة البهلوية وانكماش الأدب البهلوى ، ولم يعد الأدب الفارسي الذى ظهر فى ظل الاسلام ونشأ تحت وصاية الأدب العربي ، استمرارا للأدب البهلوى بحال من الأحوال (1) .

أما بالنسبة للتراث الاغريقي الذى وضع العرب أيديهم عليه في ذلك الوقت ، فلم يعد تراثا معبرا عن الفكر الاغريقي الخالص في عصره الذهبي قبل ظهور الاسكندر المقدوني ، بل أصبح مايسمى بالتراث الهليني أى التراث الاغريقي الذى امتزج بعناصر شرقية بعد فتوح الاسكندر للشرق .

هذا وقد اتصل العرب بالاداب الاجنبية فى هذا العصر أى العصر العباسي من مركز قوة حيث كانوا هم القوة المتفوقة عسكريا ، المعتزة بعقيدتها ، التى كانت أساس انتصارها . لذلك كان العرب أحرارا فيما يأخذون وما يدعون من تراث الأمم الأخرى ، وهذا ما طبع العصر العباسي فى مجال الأدب خاصة بظاهرتى التأثير والتأثر معا (2) ، والأدب كما هو معلوم يعد من أهم جوانب الثقافة اذ أن كلمة أدب واسعة مطاطة تتسع لكل ما هو مكتوب ومنطوق .

(1) د . عبد الحكيم حسان ، المرجع السابق ، ص 83 .
(2) د . عبد الحكيم حسان ، المرجع السابق . ص 85 .

الا أن الوقوف على هذين التراثين العظيمين (البهلوى والهليني)
لم يتم للعرب الا من خلال وسيلتين هما في المقام الأول الفتوحات
التي قضت باختلاط العرب بشعوب البلاد المفتوحة ، وفي المقام
الثاني حركة النقل الى اللغة العربية التى ازدهرت خاصة
في العصر العباسي كما سبق أن وضحنا .

ولا يفوتني ان أشير في معرض حديثي عن العصر العباسي
الى ظهور النزعة القومية الفارسية التى عرفت باسم " الشعوبية "
ولا شك ان هذه الحركة كانت مظهرا للتنافس بين الشعبين العربي
والفارسي في النواحي الأدبية والفكرية واللغوية . فكانت لذلك
احدى العوامل المساعدة على تفتحهما على بعضهما بالدرجة
الأولى ثم على الشعوب الأخرى المجاورة لهما - شعوب الشرق القديم -
التي كانت صاحبة حضارة ، وكانت قد خضعت قبل الفتح
الاسلامي للامبراطورية البيزنطية وريثة الحضارة الاغريقية كما نعرف.

وقد شهد العصر العباسي التمازج العميق الذى حدث
بين العنصر العربي والفارسي والذى أدى الى اشتغال الفرس
بالدرجة الأولى بالترجمة الأدبية الى العربية فنقلوا أدبهم
البهلوى حفاظا عليه من الضياع حين رأوا انقراض اللغة
البهلوية ، وبهذا كانت الترجمة عن البهلوية الى العربية
قد بدأت قبل الترجمة عن الاغريقية بسنين طويلة ، الا أن كون
هذا الأدب البهلوى الذى تم نقله الى العربية ، كان قد تأثر

قبل الاسلام ببعض الآداب الشرقية وخاصة منها الأدب الهندى، كما تأثر بالادب الاغريقى وأخذ عن كل منهما قدرا كبيرا من المادة الأدبية (1) قد يدعم الصلة التي قامت بين الأدب العربي والأدب الاغريقي ولو عن طريق غير مباشر .

وبعد الذى ذكرناه عن علاقات العرب بالامم الأخرى في مختلف مجالات الحياة على المستويات التجارية، والسياسية ، والدينية ، والأدبية ... الخ لايسعنا الا أن نذهب مذهب الكثير من الدارسين في حقل الأدب الذين أكدوا صلة الادب العربي بغيره من الآداب وخاصة الأدب الهندى الذى كان رافدا للأدب البهلوى ، والادب الهليني الذى كان هو الآخر رافدا للأدبين البهلوى والروماني البيزنطي ، ومما لا شك فيه أن هذين الأدبين كانا قد غذيا الأدب العربي بعناصر مختلفة وعبر قنوات عديدة ولاسيما في العصر العباسي الذى سجل مجد الأدب العربي خاصة ، والحضارة العربية الاسلامية عامة .

وانطلاقا من هذا التأكيد للصلة التاريخية التي توفرت بين الأدب العربي وغيره من آداب الأمم الأخرى ظهرت وجوه من الشبه بين بعض قصص العرب وقصص الامم الأخرى . من ذلك

---

(1) د . عبد الحكيم حسان ، المرجع السابق . ص 89.

ماذهب اليه بعضهم من أن القصص الشعبي عند كل من العرب واليونان قد حظي بصلة مميزة في مجال لقاء الأدبين العربي والاغريقي (1) وأشارت الدراسات الحديثة في اطار المنهج المقارن لدراسة الآداب الى وجود أوجه تشابه بين بعض الاداب أقل مايقال عنها انها تدعو الى التساؤل والبحث والتنقيب من أجل دعم هذه الدراسات أو ابطال ماذهبت اليه في أبحاثها .

---

(1) د . احسان عباس، المرجع السابق . ص 177 الى 185.

- الباب الأول -

التعريف بالقصتين

العربية واليونانية

- الفصل الأول -

الصلة بين القصص

الشعبي العربي واليوناني

من القصص الشعبي الذى لفت انتباه الدارسين المهتمين بدراسة الاثار الادبية في ضوء المنهج المقارن قصة السندباد البحرى من " ألف ليلة وليلة " وقصة أوديسيوس الملحمة الهوميرية المعروفة .

وقد تنبه الى مواطن التشابه بين هاتين القصتين عدد لا بأس به من الباحثين نذكر من بينهم " فون غرونبام " VONGRUNE B AUM. الباحث النمساوى الذى أورد فى كتابه " الاسلام في العصر الوسيط "ISLAM MEDIEVAL." تحت عنوان " الاستعمارة الخلاقة": الاغريق في ألف ليلة وليلة " ما يلي: ان "مهمة تحديد أصول حكايات ألف ليلة وليلة مهما بدت صعبة فانه يمكن ارجاع بعضها دون تردد الى مصدر غربي أعني اغريقي. ومن هذه الحكايات الاسفار الأربعة الأولى لهذا البحار المغامر السندباد علما بأن موضوعات هذه الاسفار أيا كان موطن اختراعها ، كانت بدايتها الأدبية فى بلاد الاغريق ثم تلقاها القاص الشرقي فيما بعد وطورها انطلاقا من الشكل الذى صب فيه الكاتب الكلاسي هذه الموضوعات" (1) .

فغرونبام يرى أن بعض أصول حكايات ألف ليلة وليلة اغريقي دون شك ومثال ذلك اسفار السندباد الأربعة الأولى حيث

---

(1) فون غرانبام - الاغريق فى ألف ليلة وليلة ، الاستعمارة الخلافة، ص 325/ 326، الاشارة هنا الى الترجمة الفرنسية وعنها نقلت الى العربية .

كانت بدايتها الأدبية في بلاد الاغريق وعندما عثر عليها القاص الشرقي تقبلها وانشأها من جديد اعتمادا على الصيغة الأولى - وهي اغريقية - لهذه الحكايات . وهذا ما يتفق في اعتقادى وتاريخ الأدب الذى لم يسجل لنا حتى الآن ممارسة أدبية قامت على أسس فنية واضحة أسبق مما أثر عن الاغريق .

والمعروف ان ملحمتي هوميروس (1) الالياذة والأوديسية هما أقدم ملحمتين على الاطلاق ظهرتا في شكل أدبي ، الا أنهما عرفتا بعد انتقالهما الى البيئة الشرقية العربية تطويرا ، بالحذف تارة والاضافة تارة أخرى حسب ما يتفق والبيئة المستقبلة . وهذا ما أكده " أندرى ميكال " المستشرق الفرنسي المعاصر في كتابة " سبع حكايات من ألف ليلة وليلة " في الفصل الخاص بأسفار السندباد البحرى حيث قال : " ان قصة السندباد مهما كانت أصولها الأولى ، بدءا بالهند ومرورا بايران واليونان ، فهي قصة قيلت بالعربية ونشأت في اطار مميز جدا أيام ازدهار التجارة البعيدة التي اقتضاها في العصر العباسي تأسيس ونمو الحاضرتين العراقيتين بغداد وسامراء " (2) .

---

(1) هوميروس شاعر اليونان الخالد وهو صاحب أشهر ملحمتين : الالياذة وتحكي لنا شعرا فصولا من حرب طروادة الشهيرة وقد نقلها الى العربية شعرا سليمان البستاني ، والأوديسية وهي الملحمة الثانية وتحكى لنا شعرا أيضا رجوع أوليس أحد الابطال الى بلاده وضلاله في البحر .

2) André Miquel-Sept contes des mille et unenuits-la Bibliothèque Arabe Ed. Sindbad-P.81.

ملاحظة : النقل الى العربية شخصي .

وممن أشاروا الى هذه الصلة بين السندباد العربي وأوديسية هوميروس الباحث " فيكتور شوفان " VICTOR CHAUVIN " في كتابه " هوميروس وألف ليلة وليلة " حيث ذكر ان حنين ابن اسحاق كان يتغنى بأشعار لهوميروس عميد شعراء اليونان وحنين بن اسحاق هو المترجم المشهور الذى قام بنقل روائع الفكر اليوناني الى العربية (1) .

كذلك أشار الاستاذ غنيمي هلال الى اتصال الأدب العربي بالآداب الأخرى في كتابه " الأدب المقارن " حيث قال : ان أصل كتاب ألف ليلة وليلة كان مدونا ثم نزل الى الأدب الشعبي فغير منه وزيد فيه وعليه لا ينبغي أن ينكر تأثير الآداب الأخرى في نشأته ونموه بحجة أنه من الأدب الشعبي الذى تمحى فيه الحدود وتتشابه الآداب دون حاجة الى تلاق تاريخي ذلك لأن هذا الكتاب لم ينشأ في أصله شعبيا (2) " ... الى أن يقول " ان بالكتاب آثارات يونانية فقصة السندباد البحرى تقابل - بما تحتوى عليه من مغامرات - ملحمة أوديسية هوميروس وبخاصة في وصف الكهف الذى يتغذى فيه الوحش بالناس (3) " ... .

ومما يدعم الصلة بين القصص الشعبي العربي واليوناني ان

---

(1) ورد حديث شوفان في كتاب " تراث الاسلام " لتوماس ارنولد وجماعة من المستشرقين وهو صادر عن دار الطليعة ببيروت في 1978 - لم أعثر بعد على نسخة من كتاب شوفان .

(2) محمد غنيمي هلال ، الادب المقارن ، مطابع سبل العرب ، القاهرة ، ط 2 ، 1970 ، ص 221 .

(3) المرجع السابق ، ص 222 .

سبل اتصال العرب والثقافة العربية بالثقافة الاغريقية كانت ميسرة منذ عصور سابقة للعصر العباسي خاصة اذا علمنا ان اللغة اليونانية أصبحت اللغة الرسمية في كل المناطق التي خضعت للحكم اليوناني منذ زحف الاسكندر الأكبر، (1) ثم ان حركة الترجمة من اليونانية الى اللغة السريانية - وهي لغة شعب سوريا وبلاد ما بين النهرين قديما - قد سبقت الى نقل الثقافة اليونانية الى شعوب الشرق الأدنى (2).

ومن بين الظروف التي ساعدت على الاقبال على الثقافة اليونانية وتوثيق الصلة بينها وبين الثقافة العربية الاسلامية، ظاهرة التنافس التي انتشرت في البلاد العربية الاسلامية بين انصار الثقافة الفارسية وانصار الثقافة اليونانية، حيث كانت المنقولات عن الفارسية تتصل بالسياسة عامة، أما المنقولات عن اليونانية فكانت فكرية وعلمية، ونتيجة لهذا كان على انصار الثقافة اليونانية ان يقوموا برد آخر في حقل متصل بالسياسة وهو " الاداب " (3) ولذا عمدوا الى ترجمة الأقوال الحكمية اليونانية.

ويرى بعض الدارسين ان العرب عرفوا الشعر اليوناني بطريقة عارضة وذلك من خلال النماذج الشعرية التي وردت في كتابي

---

(1) دى لاسي أوليرى، علوم اليونان وسبل انتقالها الى العرب، ترجمة وهيب كامل، مكتبة النهضة المصرية، 1962، ص 9 .

(2) المرجع السابق، ص 10 / 11 .

(3) احسان عباس، ملامح يونانية في الادب العربي، المرجع السابق، ص 11 وما بعدها .

أرسطو " الشعر " و " الخطابة " اللذين ترجما الى العربية (1) .

الا أن هناك ترجمة للشعر اليوناني لم تكن عارضة ، وانما كانت تعبر عن ميل أصيل قصد بها الشعر لذاته ونقلت الأقوال الشعرية لتعريف العرب بها ، ومن هذه الأشعار ما ينسب لهوميروس والتي ترجمها " اصطفن بن بسيل " وكان معاصرا لحنين بن اسحاق " (2) . وقد سمع " حنين بن اسحاق " هذا وهو من المترجمين البارزين في عصر الجاحظ ، سمع وهو ينشد شعرا لهوميروس مما يدل و لاريب على رواج الاشعار اليونانية (3) في البيئة العربية .

كما يدعم صلة العرب بالأدب اليوناني ما قام به بعض فلاسفة العرب المسلمين من عناية بالشعر اليوناني ، ودرسه دراسة ممحصة ، ونخص بالذكر منهم " الفارابي " الذي عد من أنواع الشعر اليوناني ثلاثة عشر نوعا ، وعرف كل نوع منها في كتابه " جوامع الشعر " (4) ، و " أبا الريحان البيروني " الذي مثل عهدا جديدا يبشر بتسامح أكبر في تقبل الأسطورة اليونانية التي كانت حجابا كثيفا دون فهم الشعر اليوناني وتذوقه حيث تحاشاها كل من كتب قبل البيروني لتعارضها والايمان بالتوحيد (5) .

---

(1) المرجع السابق . ص 14 .
(2) المرجع السابق . ص 15 .
(3) نفس المرجع . ص 26 .
(4) نفس المرجع . ص 27 .
(5) نفس المرجع . ص 29/ 30 .

وقد يقول قائل : ان هذه القرائن والدلائل التي تؤكد الصلة الفعلية التي تمت بين الأدب العربي والأدب اليوناني لا تعدو أن تكون اقرارا لتشابه في نتائج التجارب الانسانية ، ولكن التماثل بين بعض آثار الأدبين يبلغ حدا من الدقة قد يتعذر معه نفي كل صورة من صور اللقاء بينهما وهذا هو الوضع الذي نصادفه بالنسبة للأثرين الأدبيين اللذين نحن بصدد دراستهما من وجهة نظر مقارنة أعني الأثر اليوناني الذي يتمثل في الأوديسية والأثر العربي الذي يتمثل في قصة السندباد البحري ، بما احتوت عليه هذه القصة من مؤثرات اغريقية مصدرها " أوديسية هوميروس " .

الفصل الثاني

مغامرات أوديسة هوميروس

الأوديسية

1 – طبيعتها ومنزلتها في التراث الاغريقي والتراث العالمي

الأوديسية ملحمة تعود الى عصور غابرة من تاريخ الشعب اليوناني والحقيقة أن طبيعتها كملحمة جعلت تاريخها لا يخضع لضبط محكم حيث أنها تجسد في نظر الباحثين مرحلة متطورة من تقليد أدبي عريق في القدم ولا تمثل بحال من الأحوال بداية لهذا التقليد الأدبي الذى سبقت الاغريق اليه أمم أخرى ، فحضارة الاغريق كما هو معلوم كانت من روافدها الحضارات الشرقية القديمة وحضارات البحر الأبيض المتوسط . (1)

وقد تجلى سبق الشرق الى هذا التقليد في ملحمة " جلجامش " (2)

---

(1) أندريه ايمار وجانين أوبوايه، المشرق واليونان القديمة ، ترجمة فريد داغر وفؤاد أبو ريحان ، الجزء 1 من تاريخ الحضارات العام ، منشورات عويدات بيروت ، باريس ، ط2 ، 1981 .

(2) ورد عن ملحمة جلجامش في كتاب " صموئيل نوح كريمر " السومريون تاريخهم وحضارتهم وخصائصهم " الذى نقله الى العربية د . فيصل الوائلي ، والكتاب نشر بالكويت عن وكالة المطبوعات ، في الصفحة 256 وما بعدها مايلي :
" ان جلجامش بطل قصص ملحمية سومرية ، لا مثيل له في الشرق الأدنى القديم كله . وقصص جلجامش الملحمية خمس ، وصلت منها اثنتان مهشمتين وهما بعنوان : " جلجامش وثور السماء " و " موت جلجامس " ، والثلاث الباقية وصلت كاملة تقريبا وهي " جلجامش واجا حاكم مدينة كيش " وفيها تمجيد لجلجامش كوطني مخلص وحامي المملكة ، و" جلجامش وأرض الأحياء " وفيها يقوم البطل بدور قاتل التنين ، وقصة " جلجامش وأنكيد و والعالم السفلي " التى يظهر فيها جلجامش كشخص معقد ، فهو فارس شهم ، وجرىء ومستبد ومخلص وكئيب ومتنبىء وفضولي " .

التي تعتبر حتى الآن أول تجربة ملحمية في تاريخ الأدب العالمي حيث يرجع تاريخها الى الالف الثالث قبل الميلاد .

أما " الأوديسية " فهي الملحمة الثانية بعد " الاليانذة" في تاريخ الأدب الاغريقي القديم وتنسب الى هوميروس . فمن هوميروس ومتى ألف ملحمة الأوديسية " ؟

2 - مؤلف الأوديسية وتاريخ تأليفها :

اختلف الباحثون فى محاولتهم لتحديد شخصية هوميروس شاعر اليونان الأعظم وناظم أروع ملحمتين " الاليانذة والأوديسية" . ومرد هذا الاختلاف الى الصمت الذى لزمه هوميروس في ملاحمه ، فلم يحدثنا فيها عن نفسه كما كان يفعل غيره من الشعراء ومن هنا كثرت الروايات والقصص حول شخصه وتعددت البحوث فى أشعاره واختلفت فيما بينها مما عقد مهمة النقاد والدارسين ، وأحدث ما يسمى بالمشكلة الهوميرية التى تقوم على اعتراضين رئيسيين ، ويتمثل أولهما في أن الأدب اليوناني لم يبدأ بملحمتي هوميرس "Homère" بل بدأ بملاحم أخرى أفاد منها هوميروس فى نظم أشعاره ، ويتمثل الاعتراض الثاني في أن كلا من الاليانذة والأوديسية عمل قائم بذاته يختلف عن الآخر .(1)

---

(1) محمد صقر خفاجة ، هوميرس ، مكتبة نهضة مصر ، القاهرة ، 1957 ، ص 3 وما بعدها .

وكان " فولف " Wolf "الالماني أول من اهتم بدراسة المشكلة الهوميرية دراسة علمية فى العصور الحديثة في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر وانتهى " فولف " من هذه الدراسة الدقيقة الى أن اشعار هوميروس نظمت فى وقت كان اليونان يجهلون فيه الكتابة أو أن الكتابة لم تصبح بعد عندهم وسيلة لتدوين الأدب ولذلك خضعت أشعار هوميروس للرواية الشفوية عدة أجيال حيث لم تدون الا حوالي النصف الثاني من القرن السادس قبل الميلاد (6 . ق . م .) وفى مرورها بالمرحلة الشفوية ، تعرضت الأشعار للاضافة والتغيير والتنقيح مما أكسب الملحمتين المعروفتين " الالياذة والأوديسية " هذا الطول . (1)

واذا كان " فولف " يرى أن كوكبة من الشعراء قد ساهمت في تكوين الملحمتين الخالدتين باضافة اشعار أخرى ، فهو لا ينكر وجود هوميروس الشاعر العبقري الذى نسج الخيوط الأولى لهاتين الملحمتين . (2)

والحقيقة أن هذا الاختلاف القائم بين الدارسين في نسبة اشعار الملحمتين الى هوميروس أو غيره من الشعراء لايغير من واقع الملحمتين الفني الذى ميز عصرا طبعه هوميروس على وجه الخصوص بطابعه الذى ينم عن عظمته كشاعر دون أن ننسى

---

(1) المرجع السابق ، ص 22 ومابعدها .
(2) المرجع السابق ، ص 25 .

أن هذا الشاعر العظيم مدين هو الأخر لتراث طويل من شعر الاناشيد (1) ، ذلك أن الملحمتين نظمتا فيما بين القرن التاسع والقرن الثامن قبل الميلاد وان لهما من الخصائص الفنية مايقطع بوجود مؤلف واحد (2) ، ومما يدل بوضوح عن المرحلة الشفوية التي خضعت لها الملحمة الهوميرية قبل أن تدون وتتخذ شكلها النهائى ، انعدام الدقة في تحديد الظروف التي أحاطت بتأليفها وهذا ما يؤكده قول " باورا " حيث جاء فى كتابه " الأدب اليونانى القديم " أن هوميروس منشد صادق لم يكن يؤلف للقراء وانما كان ينظم للسامعين (3) " .

كذلك يؤكد مرور الملحمة الهوميرية بالمرحلة الشفوية ما أورده " فينلي " فى كتابه " عالم أوديسيوس " حيث يقول : " ان شعر الملاحم الذى تعتبر الالياذة والأوديسية أعظم نموذج له يجب التفرقة بينه وبين شعر الملاحم الأدبي مثل " الانياذة لفرجليوس اللاتيني " أو " الفردوس المفقود لميلتون الانجليزى" ، فشعر الملاحم شعر يسير دائما على الأفواه ، يرتجله منشدوه وينظمه غالبا منشدون أميون لجمهور من المستمعين ... وكل من الالياذة والأوديسية تكشف بدرجة عالية كافة الخصائص الهامة لشعر الملاحم

---

(1) المرجع السابق ، ص 8 .

(2) المرجع السابق ، ص 8 .

(3) س . م . باورا ، الأدب اليونانى القديم ، ترجمة محمد على زيد وأحمد سلامة محمد ، مراجعة د . محمد صقر خفاجة ، دار القومية العربية ، مصر ، (سلسلة الالف كتاب) ص، 9 و13 .

غير المكتوب في العالم كله ... ويختفى وراءها مران طويل على فن الانشاد " ... وهذا ما دفع الدارسين الى الاهتمام (1) بقضية الحذف والاضافة فى الملحمة الهوميرية ، لأن " النص الذى يوجد بين أيدى الباحثين لا يخلو من حشو دخيل وتغييرات لغوية " (2) على حد قول " باورا " ، مما يدل على انضواء هذه الاشعار تحت ما يسمى بالأدب الشعبي الذى غالبا ما يكون مادة طيعة يخضعها الرواة والقصاصون لأغراضهم المختلفة باعتمادهم الحذف والزيادة فى الحكايات بحسب الظروف التي تحيط بالقاص ومزاجه الخاص . (3)

والحقيقة ان ملحمتي هوميروس وخاصة الأوديسية ، وهي التى ينصب عليها اهتمامنا فى مجال هذا البحث ، كانت أدبا شائعا ألفها صاحبها لتلقى على مسامع القوم وتروى من جيل الى جيل تمجيدا لذكرى الأعمال العظيمة التي حققها جيل العصر البطولي . (4)

3 - خلاصة قصة الأوديسية :

تتخذ الأوديسية من عودة أوديسيوس - داهية اليونان - الى وطنه موضوعا لها . كان أوديسيوس ملكا " لايثاكا " ، أبوه

---

(1) م . ا . فينلي ، عالم أوديسيوس ، ترجمة عبد الواحد خضرة ، مراجعة د . محمد سليم سالم ، سلسلة الالف كتاب ، دار نهضة مصر ، 1968 ، ص 26 / 28 .

(2) س . م . باورا ، المرجع السابق ، ص 8 .

(3) سهير القلماوى ، ألف ليلة وليلة ، دار المعارف ، مصر ، ط 4 ، 1976 . ص 25 .

(4) عن العصر البطولى ينظر باورا ، المرجع السابق ، ص 9 .

" لايرتيس" Laertes "و" أنتيكليا "Anticléa أمه وكان قد تزوج " بنيلوبي " Pénélope وأنجب منها ابنا يدعى " تليما خوس" "Télémachus" ، وقعت لأوديسيوس حادثة في شبابه حيث أصيب بجرح في ركبته بعد صراع مرير مع خنزير بري ، فاجاه أثناء رحلة صيد قام بها عند جده في جبل " بارناسوس" "Parnassus"، فترك الجرح أثرا في جسمه وكان لهذا الأثر دور حاسم في انقاذ أوديسيوس في الملحمة .

اشتهر أوديسيوس بقوسه التي لا تخطئ الهدف ان هو صوبها ، وكانت هذه الدقة في الرماية التي تميز بها عن غيره من الأبطال ، وسيلة من بين الوسائل العديدة التي استعان بها على انقاذ عرشه وزوجته من قبضة أعدائه ومنافسيه .

وقد كان أوديسيوس أيام شبابه ممن رغبوا في الزواج من هلينا "Hélène" أجمل نساء الاغريق في عصرها ، وتقدم لخطبتها ولكنها خيبت أمله الا أن هذا لم يمنعه من أن ينضم الى ملوك الاغريق ويقطع معهم عهدا على نفسه بحماية هذه الحسناء ان هي تعرضت لمكروه في المستقبل .

كما انه اشتهر بحنكته في الحكم ، وكرمه ، واحترامه للآلهة وخاصة زوس كبيرهم وابنته اثينا الهة الحكمة .

خرج أوديسيوس من دياره واتجه الى " طروادة " مملكة " باريام " في جيش جرار يقوده " اجاممنون ". أحد ملوك الاغريق

وشقيق " منيلاوس " ملك " اسبرطة " الذى اختطف منه بيه " باريس بن باريام " زوجته " هلينا " فاتنة الاغريق ، وهي بنت " زوس " سيد " الاولمبوس " من ليدا " ، وذلك من أجل خوض حرب ضروس لاسترجاع هلينا .

ودامت الحرب عشر سنوات وأسفرت عن انتصار الاغريق وارجاع هلينا الى زوجها . وراح كل من شارك في هذه الحرب ونجا من الهلاك فيها يستعد للعودة الى دياره ، وكان أوديسيوس ممن نجوا من الموت فجهز نفسه وأبحر يرفقة رجاله في اتجاه مملكته " ايثاكا " ، الا أنه في غمرة الاستعداد للعودة نسي أن يقدم القرابين للالهة التي ناصرت الاغريق على الطرواديين ، فكان هذا النسيان مدعاة لانتقام الآلهة منه فسلطت عليه التيه في البحار طيلة عشر سنوات . وكانت رحلة التيه هذه محفوفة بالاخطار ، مليئة بالمغامرات ، مر أثناءها أوديسيوس ورجاله بمدن غريبة وجزر عديدة بعضها يعمره بشر ، وبعضها الاخر تعمره قطعان من المواشي ترعاها الآلهة ، والبعض الآخر تقطن به عرائس الماء أو كائنات شبه الهيئة أخرى ، وكان البطل الهوميرى يواجه كلما توقف بمكان مع رجاله ، عالما جديدا تحكمه أنظمة غريبة وفي كل مرة تقريبا كان يبحر مع رجاله لائذا بالفرار يطلب النجاة من خطر محقق . وهكذا يتوالى الحل والترحال الى أن قضى رجاله نحبهم وبقى " أوديسيوس "

وحيدا ، وبعد نجاته من الحيتين الهائلتين " خاربديس " Charybde " و " سيلا " Scylla " ، يحل البطل بجزيرة " كاليبسو " Calypso " عروس البحر التي كلفت به ، فاحتجزته في كهفها مدة ثماني سنوات وهي في كل مرة تحاول اقناعه بالزواج منها مقابل ان تمنحه الخلود ، الا أنه يأبى هذا الوضع ، ويرفض ماعرضته عليه ويذكرها بأنه لن يتخلى عن حريته ووطنه وزوجته وابنه . ورغم ظروفه القاسية ، وعزلته التامة عن عالم الانس التى فرضتها عليه " كاليبسو " فقد تشبث بموقفه الى أن أسعفته الآلهة ، فتدخلت " أثينا " الهة الحكمة ، لدى أبيها " زوس " وحثت مجلس الآلهة على النظر في وضع " أوديسيوس " الذى طالت معاناته ويخشي على انهيار ملكه وزوال ثروته أن استمر غيابه عن موطنه .

واستجاب " زوس " ، كبير الالهة ، لطلب ابنته وأوفد رسوله الى الالهة والبشر " هرمس " الى " كاليبسو " يامرها بالافراج الفورى عن حبيبها ، وتنصاع عروس البحر لأمر كبير الآلهة فيتم الاعداد للسفر ويبحر البطل من جزيرة " كاليبسو " على متن فلك من صنعه في طريق العودة ، وتصادفه أثناء الرحلة متاعب جمة ، الا أنه ينجو من كل الأخطار ويصل الى " فياكيا " Phéacie " حيث يستقبله ملك الفياكيين سادة البحار " الكينوس " Alkinoos " ويحسن ضيافته ، وعندما يتعرف الملك على هوية البطل العائد ،

يتعهد له بمساعدته على العودة الى وطنه .

وبالفعل أمر " الكينوس " بتجهيز سفينة " لاوديسيوس " وقدم له الهدايا الثمينة وأبحر ملك " ايثاكا " يرافقه رجال " الكينوس " فتمكن هذه المرة من العودة الى وطنه ، ودخله في زي شيخ كبير تنكر في ثياب شحاذ ليطلع عن كثب على الوضع المزري الذي يعيشه قصره في غيبته ، حيث كان أمراء " ايثاكا " قد استباحوا قصره وثروته وراحوا يتنافسون في الفوز بالحظوة لدى زوجته " بنيلوبي " ولم يكن في مقدور هذه الزوجة الوفية أن ترفض عروض الأمراء علانية خوفا مما قد يلحق بها من ضرر وهي دون حماية ، فزوجها غائب ، وابنها " تليماخوس " لم يشتد عوده بعد ، حتى يستطيع رد كيد اعداء أبيه ، فأوجدت حيلة تحمي بها نفسها وتبقى بها على عهد زوجها وفية مخلصة ، فكانت تعللهم بأنها ستصطفي واحدا منهم ، حالما تنتهي من نسج كفن " لايرتيس " والد زوجها المفقود الا أنها كانت تفك ليلا ما نسجته بالنهار . واستمرت الحال هكذا الى أن اكتشف أمرها فلم يعد الأمراء يطيقون صبرا عليها ، وراحوا يلحون عليها في طلبهم ، عساها تختار من بينهم زوجا لها ، وتضع حدا لهذا التنافس الذى طال . وضاق ابنها " تليماخوس " ذرعا بهذه التصرفات ، فراح يبحث عن حل لتجاوز هذه الوضع

فقرر بايعاز من " اثينا " الهة الحكمة ان يترك جزيرة" ايثاكا " موطنه ويخرج للبحث عن أبيه علّه يظفر ببعض أخباره ، ولكن أمله خاب . ويتنبه أعداء أبيه الى أمره ، فيدبرون مكيدة لاهلاكه حتى يفرغ لهم الجو . ولكن الالهة تتدخل لانقاذ " تليماخوس" فتفشل خطة الكائدين ، ويعود " تليماخوش" الى وطنه ويلتقي بأبيه عند راعي الخنازير " يوماپوس" ويتم التعهد بينهما لانجاح خطة في القضاء على كل المتنافسين على " بنيلوبي " والملك .

وهكذا يدخل " أوديسيوس" قصره متنكرا دائما في زي شيخ متسول وهنا يسمع آخر خبر مفاده أن زوجته " بنيلوبي " قررت أخيرا أن تجرى مسابقة بين المتنافسين في الرمي بقوس زوجها المشهورة ، على أن تتزوج ممن يستطيع أن يصيب الهدف المحدد بهذه القوس . ولم يصب أحد الهدف وعمت الحيرة بين المتنافسين ، وعندها تقدم الشيخ المتسول فتناول القوس وسط احتجاج وشخرية وتعجب الحضور وصوبها نحو الهدف ، فأصابه على طريقته المعهودة مما أثار الريبة والشك لدى الحاضرين حول حقيقة شخصه وهويته .

وتجرى الاحداث بسرعة ، فتتعرف " بنيلوبي " على زوجها بعد أن قضى على جميع منافسيه في بحر من الدماء بمساعدة أثينا " وابنه وأتباعه . ويذهب " أوديسيوس" بعد ذلك للقاء أبيه ، ويلحق به أقارب الضحايا فيحاولون محاصرته للانتقام

لابنائهم ، ولكنهم يصدون وتتدخل الهة الحكمة " أثينا " لحقن الدماء واقرار السلام في ربوع ايثاكا " فعاش " أوديسيوس " ملكا — يحكم بالعدل — بين أهله وذويه (1).

4 — منزلة بطل الأوديسية :

أما عن منزلة البطل " أوديسيوس " فهو ممن شاركوا في حرب طروادة وكان لحيلة الحصان الخشبي — حصان طروادة — (2) التي ابتدعها ، الدور الحاسم في انهاء الحرب الطروادية التي دامت عشر سنوات ، بانتصار الاغريق واسترجاع " هلينا " زوجه " منيلاوس " المختطفة .

كما ان " أوديسيوس " برز في الملحمة كبطل شجاع ، مقدام ، وتحلى بالأمل في احلك الظروف ، كذلك لم يتوان في تعريض نفسه للخطر من أجل انقاذ رجاله ، سعيا وراء تجاوز الواقع وضمان الاستمرار لنفسه ولغيره .

---

1) هوميروس ، الاوديسية ، ترجمة أمين سلامة ، دار الفكر العربي ، ط 2 ، 77/ 1978 .

2) تتمثل الحيلة فى ان " أوديسيوس " أمر رجاله بصنع حصان من الخشب ، وأمر أبطال الاغريق بالاختفاء داخله وانطلت الحيلة على الطرواديين ، فادخلوا الحصان القابع وراء الاسوار لمعرفة حقيقته . الا أنهم فوجئوا بابطال الاغريق يها جمونهم من كل جهة فاردوا عددا كبيرا من عساكر الطرواديين قتلى وحاز الاغريق الانتصار .

الفصل الثالث

مغامرات السندباد البحري

ألف ليلة وليلة وقصة السندباد البحري

أ - أصل الكتاب وطبعاته وأقسامه

كتاب ألف ليلة وليلة مجموعة من القصص الشعبية اختلف الباحثون حول تحديد أصلها ، فمنهم من قال انها هندية الأصل وآخر فارسية الأصل ، وثالث عربية الأصل . ومرد هذا الخلاف بين الباحثين ان عدد نسخ هذا الكتاب ، التى وصلت الى أيديهم ، قليل ويعتري مختلف هذه النسخ المتوفرة بعض الاختلاف أيضا ، سواء من حيث عدد الليالي ، أو فيما يخص نص القصص بالذات بما فيها من حذف تارة واضافة تارة أخرى ، وان دل هذا على شيء فانما يدل على أن طبيعة هذا الكتاب ، من حيث انه ينضوي تحت ما يسمى بالأدب الشعبي ، جعلته يخضع الى مثل هذه التحويرات التى تطرأ عليه من نسخة الى أخرى ، علما بأن هذا الكتاب قد خضع مدة طويلة لما وصفه بعض الباحثين بالتلاعب لأنه بقي عرضة لأهواء بعض الدارسين ، الذين هذبوه لغة ومادة مرة وصنفوه مرة أخرى .(1)

الا أن ما يهمنا فيما نحن بصدد البحث فيه هو النسخة العربية من الليالي . والنسخة العربية من الليالي ، التى بين أيدينا تحمل عنوان " ألف ليلة وليلة " وأهم طبعة لها كانت

---

(1) سهير القلماوي ، الف ليلة وليلة ، المرجع السابق ، ص 14 وما بعدها .

طبعة بولاق التي صدرت في مصر . وقد اعتمدت هذه الطبعة على نسخة هندية أصلها مصري طبعت في كالكوتا بالهند سنة ثلاث وثلاثين وثماني مئة وألف ، ومن نسخة بولاق هذه خرجت مختلف الطبعات المصرية وغير المصرية المتعددة التي تتداول هذه الأيام .[1]

ومما تجدر الاشارة اليه أن الطبعة الأولى للنص بالعربية في كالكوتا ، كانت تحتوي على المئتي ليلة الأولى وقصة السندباد البحري[2] ، أما الطبعة الثانية بكالكوتا فكانت أكمل .[3]

وهذه النسخة الأخيرة على حد ما ذكرته الاستاذة سهير القلماوي في كتابها " ألف ليلة وليلة " قسمان : قسم بغدادي وقسم مصري . و" القسم البغدادي يدخل فيه كل القصص الهندي أو الفارسي والذي دخل العربية زمن العباسيين ، أما القسم المصري ففيه ما كتب من هذه القصص في مصر أو سوريا لاتصال البلدين صلة وثيقة أيام المماليك وتحت حكم الأتراك .[4]

ب — تأريخ الكتاب

بعد حديثنا عن طبيعة كتاب الليالي وطبعاته وأقسامه ، ماذا عن تأريخه ؟ والحقيقة أن تحديد تاريخ أقدم نسخة من الليالي التي بين أيدينا مسألة اختلف فيها هي الأخرى الباحثون حيث

---

(1) سهير القلماوي ، المرجع السابق ،ص 14 وما بعدها .
(2) الموسوعة الاسلامية ، مادة ألف ليلة وليلة ، ص 370 .
(3) المرجع السابق ،ص 370 .
(4) سهير القلماوي ، المرجع السابق ،ص 32 .

ذهب بعضهم الى أنه يرجع الى القرن العاشر أو الحادى عشر من الهجرة ، وهذا اعتمادا على أول ترجمة صدرت لهذا الكتاب باللغة الفرنسية على يد أنطوان جالان "Antoine Galland" والتي تشير الى أن جالان حصل على النسخة التي اعتمدها في الترجمة من حلب حوالى أوائل القرن الحادى عشر من الهجرة (1). ويرى "ليتمان" Littman أن الكتاب قد دون في الفترة ما بين 923 و 933 للهجرة أى بين 1517 و 1526 للميلاد (2).

أما ما يؤكده غنيمي هلال في كتابه "الأدب المقارن" فهو أن كتاب ألف ليلة وليلة دون في عصور مختلفة الا أنه "من المقطوع به أن الكتاب في أصله كان معروفا لدى المسلمين قبل منتصف القرن العاشر الميلادى" (3).

ج ـ قصة السندباد وصلتها بكتاب الليالي

جرى حديثنا في الأسطر السابقة عن كتاب الليالي ، فماذا عن قصة السندباد البحرى التي هي جزء من كتاب الليالي وهي موضوع الدراسة في هذا البحث ؟ قصة السندباد البحرى عدها بعض الدارسين من القصص التى أضيفت الى كتاب الليالي .

---

(1) سهير القلماوى ، المرجع السابق ، ص 52 .
(2) ليتمان ، ألف ليلة وليلة : دراسة وتحليل ، ترجمة لجنة ترجمة دائرة المعارف الاسلامية ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1982 ، ص91/ 92 .
(3) غنيمي هلال ، المرجع السابق ، 220.

وذهب بعضهم الى أن نسبة حكايات السندباد البحرى الى كتاب ألف ليلة وليلة مازالت محل بحث " ويظهر أن الحكايات وضعت في عهد بلغت فيه بغداد والبصرة غاية الازدهار. وربما كانت هذه الحكايات في الأصل كتابا قائما بذاته " (1).

ويشير ليتمان في دراسته لكتاب الليالي أن أنطوان جالان كان قد بدأ بترجمة قصة السندباد البحرى عن مخطوط أصله غير محقق ، ثم علم أنها تكون جزءا من مجموعة حكايات اسمها ألف ليلة وليلة (2).

الا أن الاستاذة سهير القلماوى لم توافق على هذا الرأى وذهبت الى أن القصة أضيفت الى كتاب ألف ليلة وليلة فيما بعد ولعل ما يشابهها فى الكتاب أثر من آثار اضافتها اليه (3).

ومهما يكن من أمر هذا الاختلاف فقصة السندباد الملاح ، التى سوف نعتمدها فى هذا البحث وردت فى الجزء الثالث من مجموعة قصص ألف ليلة وليلة الصادرة عن المكتبة الثقافية ببيروت سنة 1979 وهي طبعة صدرت عن نسخة بولاق المصورة ، وتتمثل القصة في تسعة وعشرين ليلة وتنطلق من الليلة التاسعة والعشرين بعد الخمس مئة لتنتهي الى الليلة الثامنة والخمسين

---

(1) ليتمان ، المرجع السابق ، ص 29 / 30 .
(2) ليتمان ، المرجع السابق ، ص 36 وما بعدها .
(3) سهير القلماوى ، المرجع السابق ، ص 58 .

بعد الخمسمئة ، وتمثل الليلتان الأوليان - الليلة 529 و 530 - الحكاية الاطارية أي مقدمة حكايات السندباد البحري السبع .

خلاصة قصة السندباد البحري

تشتمل قصة السندباد البحري على سبع حكايات . بطلها السندباد البحري ، وهو رجل رحالة ، يركب البحر في اتجاهات غير معروفة بحثا عن المال فيقوم بالتجارة والمبادلات ، وكسبا للمعرفة ، فيطلع على أحوال الناس ومعارفهم وتقاليدهم وعاداتهم ومهاراتهم ، ويتزود بزاد وافر يعود به الى أهله وبلده في كل مرة .

وقد سافر السندباد البحري سبع مرات ، وكان في كل مرة يبحر من البصرة في اتجاه البلاد الواسعة والجزر المتناثرة عبر البحار ، وفي كل مرة يكابد صعوبات جمة ، ويواجه أهوالا ، بحيث يفقد الأمل في النجاة والعودة الى وطنه ، الا أن الحظ كان حليفا له في كل الحالات ، فكان ينجو بأعجوبة من كل خطر مهما عظم ، ويعود الى بلاده ومدينته بغداد بعد اقامة قصيرة بالبصرة حيث ترسو به سفينة النجاة والعودة السعيدة .

ورغم المعاناة التي يمر بها هذا التاجر في كل رحلة فلم يكن يتعظ بما يحدث له في كل سفرة بل تعاوده الرغبة والحنين الى الترحال بعد فترة من المكوث بدياره والعيش بها في رغد .

فالرحلة الأولى قادت السندباد ، بعد ابحاره من البصرة الى جزيرة رست بجانبها السفينة وصعد الركاب ومعهم السندباد على الجزيرة حيث طهوا وطعموا وشربوا ومرحوا وفجأة أحس الجميع بأن الجزيرة أخذت تغوص تحت الماء شيئا فشيئا ، فعم الفزع وانتبه قائد السفينة الى أن الجزيرة التي نزلوا بها لم تكن في الحقيقة الا سمكة ضخمة تجمدت وسط البحر فترسبت فوقها الرمال ، وما ان أحست بالحرارة التي انبعثت من طهي الطعام الذى قام به الركاب الذين صعدوا على ظهرها حتى تحركت وأخذت تنزل الى قاع البحر ، وأبحر القائد ومجموعة من الركاب لائذين بالفرار ، أما السندباد ومن بقي معه من رفقاء الرحلة فراحوا يبحثون عن سبيل لنجاتهم ، وأسعفت الأقدار السندباد فعلق بقطعة خشب ساعدته على السباحة الى أن قدفت به الأمواج الى جزيرة فصعد عليها واذا بعينه تقع على فرس عظيمة كانت مربوطة ، وعلم فيما بعد أن رجال الملك المهرجان كانوا يسهرون على هذه الفرس وأتوا بها الى هنا لتتناسل مع حصان البحر وتحمل منه وتلد مهرا لا يوجد له مثيل على وجه الأرض مما يذر على الملك المهرجان ورجاله مالا كبيرا . وبعد أن أتم رجال المهرجان عملهم اصطحبوا معهم السندباد وقدموه لملكهم فأحسن اليه وعينه عاملا على الميناء وذات يوم رسا بالميناء المركب الذى كان السندباد قد أبحر على ظهره

من البصرة وتعرف على قائده ، وقدم له نفسه وأثبت بالأدلة المقنعة هويته ، فاسترجع بضاعته التي شحنها بالبصرة على ظهر المركب ، وتاجر بها ، وعاد مع رفاقه الى بلاده بعد توديعه الملك المهرجان ، وعاش بعد ذلك في رخاء مع أهله وذويه الى أن عاوده ذات يوم الحنين الى التجوال ، ولم يكن في حاجة الى مال ، فجهز نفسه للرحلة الثانية .

وحكايتها اغرب من الأولى حيث يحدثنا السندباد عن هذه السفرة فيقول أنه أبحر من البصرة على ظهر سفينة برفقة آخرين وانطلقت السفينة تمخر عباب البحر ، وبعد مدة رست بهم بالقرب من جزيرة ، فنزل الركاب وتفرقوا فيها للاستمتاع والراحة ، فأخذت السندباد سنة من نوم ، أقلعت أثناءها السفينة ، وعندما استيقظ من غفوته وجد نفسه وحيدا بالجزيرة لايملك شيئا . فاحتار في أمره وسار قليلا في الجزيرة ، ثم توقف وصعد فوق شجرة باسقة ، وراح يجيل النظر في أرجاء الجزيرة ، فأبصر شيئا أبيض عظيما . ونزل من الشجرة واتجه نحوه فاذا هو بيضة طائر الرخ ، ما فتيء الطير أن جاء وحط عليها ونام . وهنا انتبه السندباد واهتدى الى حيلة تنجيه من الضياع ، وتوصله الى مكان العمران ، فربط نفسه الى رجل الطائر ، وفي الصباح ارتفع به في الجو وحلق مدة الى أن حط بمكان ، ففك السندباد رباطه ، وارتقى الطائر في الجو

الرحب من جديد ، أما السندباد فراح يطلع على المكان الذى حل به صدفة ، فوجد نفسه على مرتفع يجرى تحته واد كبير به حجارة من الماس ، وحيات وأفاع . ففزع وندم على ما أقدم عليه ، وراح يبحث عن مكان ينام فيه ، فدخل مغارة وقضى ليلة فيها الى جانب حية عظيمة وعند الصباح ترك المغارة وراح يتأمل الوضع الذى آل اليه ، واذا بذبيحة تلقى من أعلى الجبل ، فأسرع اليها وتعلق بها بعد ان زود نفسه بكمية من حجر الماس ، وبعد قليل انقض نسر على الذبيحة وطار بها وحلق في الفضاء الواسع ، والسندباد ممسك بها ثم حط النسر على قمة الجبل ، فخرج عليه تجار الماس ، ففر النسر فزعا ، واندهش التجار حين رأوا مخلوقا بشريا ممسكا بالذبيحة ، ولكن السندباد بادر الى طمأنتهم ، وأخبرهم بقصته ، فتأكد التجار من هويته وتيقنوا من أنه انسان وصحبوه معهم في طريق العودة ، فتاجر السندباد خلال الرحلة بما لديه من بضاعة واقتنى بضائع أخرى ، الى أن رست السفينة بميناء البصرة ، فعاد البطل الى بغداد ليذر من خيراته على أهله وذويه وينعم هو بما جناه من سفرته الثانية ومكث مدة في رغد من العيش .

وذات يوم عاوده الحنين الى الترحال فقرر أن يسافر للمرة الثالثة . فترك بغداد الى البصرة ومنها أبحر في مركب ، وبعد فترة من السير في البحر ، عصفت ريح عاتية ، وقذفت بالمركب

الى جبل القرود حيث قبض على التجار والركاب وصود ر المركب ، فراح الجميع يهيم على وجهه فوق الجزيرة التي أرغموا على التوقف بها . وساحوا فيها قليلا الى أن لاح لهم شبح بيت عامر وسطها ، فاتجهوا نحوه ، واذا هو قصر مشيد قد خلوا الى القصر وجلسوا في رد هته ، وسرعان ما استسلموا الى النوم من كثرة التعب ، وعند الغروب ، ارتجت الأرض واستيقظ الجميع على دوي هز القصر ورأوا شخصا عظيم الخلقة ، أسود اللون ، يشبه النخلة طولا ، ينزل من أعلى القصر ، فذهل الجميع وغابوا عن وعيهم لفظاعة ما رأوه ، وجلس الشخص المرعب قليلا ، ثم نهض وقصد أكبرهم - وكان قائد المركب - فقبض عليه وأدخل فيه سيخا ، ووضعه على النار حتى نضج لحمه والتهمه ورمى بالعظام ، واستمر الوضع هكذا الى أن أتى على ثلاثة منهم ، واحتال الباقون لكي ينجوا من هذا الوحش ، فصنعوا فلكا وبعد ان فقأوا عيني الوحش بسيخين ملتهبين وأفقدوه البصر ، أبحروا في الفلك ، ولكن الوحش لم يستسلم للوضع ورفض الهزيمة فغاب قليلا ورجع ومعه أنثى ، وراح الاثنان يتربصان بالسندباد ومن معه وأخذا يرميانهم بحجارة ضخمة ، فقتل أكثر الرجال من رفاق السندباد ولم ينج الا ثلاثة من هلاك محقق ، وكان السندباد من بين الثلاثة ورسا الفلك بجزيرة ، سارع السندباد ورفيقاه الى الصعود اليها ، حيث استسلموا لنوم عميق ، وما أن

استيقظوا حتى فاجأتهم كارثة أخرى ، حيث أحاط بهم ثعبان عظيم الجثة والتهم واحداً منهم ، وبقي اثنان السندباد ورفيق له ، فأكلا وشربا وعند المساء صعدا فوق شجرة عالية ، ولما أظلم الليل حضر الثعبان ثانية وتسلق الشجرة والتهم رفيق السندباد فلما كان اليوم التالي ، أغلق السندباد على نفسه داخل صندوق من الأخشاب صنعه بيديه ، وألقى بنفسه على الأرض ، تحسبا لما قد يقع ، وعند المساء عاد الثعبان كعادته واتجه نحو الصندوق ولكنه حاول عبثا التهام السندباد ، فانصرف عنه ، وعند طلوع الفجر فك السندباد وثاقه ، ومشى فى الجزيرة متأملا ، وفجأة أبصر مركبا يمخر عباب البحر ، فلوح ناحيته يطلب النجدة ، واستجاب المركب لطلبه واقترب منه وأنجده بأن أخذه ضمن ركابه ، واتضح فيما بعد أن هذا المركب نفسه كان هو المركب الذى ترك السندباد نائما بالجزيرة . وتعرف قائد المركب على السندباد ، وسلمه بضاعته فباع السندباد واشترى وكسب مالا كثيرا وعاد الى البصرة فبغداد حيث تصدق على المساكين ووهب وعاش فى رخاء واطمئنان .

وذات يوم حدثته نفسه القلقة بالسفر مرة أخرى الى بلاد الناس لمصاحبة الأجناس والبيع والشراء . فاستجاب لرغبته وهيأ نفسه للمرة الرابعة ، فترك بغداد الى البصرة ، ومنها أبحر مع جماعة من أكابر المدينة ، وطاب لهم السفر الى أن هبت عليهم

في يوم ماريح عاصفة ، مزقت القلاع ، فغرق المركب وبعض الركاب ، أما السندباد فسبح مدة نصف نهار الى أن يسر له الله قطعة خشب فامتطاها وجماعة معه وساروا في البحر جميعا ، وفي اليوم التالي هبت عليهم ريح عاتية فرمتهم الأمواج الى جزيرة ، مكثوا بها يومهم ، واقتاتوا من نباتها ، وفي الغد راحوا يتجولون في ربوعها ، فأبصروا عمارة عن بعد واتجهوا نحوها ووقفوا على بابها فخرجت عليهم جماعة عراة ، وأمسكوا بهم في صمت تام وقدموهم الى ملكهم ، فأمروا بالجلوس وقدم لهم طعام فتناولوه الا السندباد ، وفور انتهائهم من الاكل ذهلت عقولهم وتغيرت أحوالهم ثم سقوا شرابا وبعد تناوله زاغت أعينهم . وصاروا يلتهمون الطعام كالمجانين . فأسف السندباد لحال رفاقه وراح في فزع يتأمل هؤلاء العراة فاذا هم قوم مجوس وملكهم غول وكل من يحل بمدينتهم يطعمونه حتى يكتنز ثم يذبحونه ويقدمون لحمه الى الملك وأصحابه .

وهكذا سلم رفاق السندباد الى شخص يرعاهم في الجزيرة مثل بقية البهائم ، ولم ينج من هذه المصيبة الا السندباد حيث ترك لأمره ، ولم يهتم به أحد فاحتال وفر من قبضتهم وبعد أيام وصل الى مكان عثر فيه على جماعة من الناس ، كانت تجمع حب الفلفل ، فهبوا اليه وسألوه عن حاله وهويته فأخبرهم السندباد بقصته ، ثم صحبهم الى ملكهم

وقص عليه أخباره . وبعد أن استمع الملك الى هذه الأخبار، أمر باكرام السندباد ، فطاب له المقام بين هؤلاء الناس . وذات يوم انتبه السندباد الى أن القوم الذين يعاشرهم يركبون الاحصنة بدون سروج ، فتدبّر الأمر مع الملك وأخذ منه الاذن بصنع السروج ، وبعد التجربة أقبل الناس على هذا الاختراع مما درّ مالا وفيرا على السندباد . وأصبح ذا شأن عظيم بين هؤلاء القوم ، فعز على الملك أن يفارقه السندباد آجلا أم عاجلا ، وعرض عليه الزواج من احدى بناتهم حتى يمكث بينهم ، ورضي السندباد باقتراح الملك وتمّ الزواج وعاش البطل سعيدا مع زوجته .
وذات يوم توفى الله زوجة جاره ، فعلم ان من عادة أهل هذه البلاد دفن أحد الزوجين الذي يبقى على قيد الحياة اذا ما توفي الآخر ، وحزن السندباد على نفسه حزنا شديدا ، واحتار في الأمر ، ان هو حلت به المصيبة ، فهل سيعاملونه كفرد من أفراد هذه البلاد أم أنهم سيعاملونه بصفته غريبا ؟
وحدث ما كان في الحسبان فقد مرضت زوجة السندباد وتوفيت بعد أيام وتمت مراسيم الدفن حسب عادات أهل البلاد التي يقيم فيها ، وألقي به مع زوجته المتوفاة في المغارة العميقة التي تتخذ مدفنا ومعه قليل من الزاد . واستسلم البطل للوضع وأسلم أمره الى الله . ومرت عليه أيام بالمغارة ، واختلط عليه فيها الليل بالنهار، فلم يعد يفرق بينهما ، ولم يكن يأكل

الا القليل حتى لاينفذ زاده ، وتحسبا لنفاذ زاده راح السندباد يفكر في الأمر علّه يهتدي الى حلّ . وبينما كان غارقا في غمرة التفكير اذا بالحجر الغليظ يزاح عن فتحة المغارة ويرمي فيها بجثة زوج متوفى ، ومعه زوجته تبكي وتصرخ وتندب حظها . وما ان وقعا في المغارة ، حتى تدبّر السندباد الأمر ، وانقض على المرأة فقتلها وأخذ الزاد الذي كان معها . وبقي على هذه الحال مدة من الزمن ، يقتل من يدفن حيّا ليأخذ زاده ويؤمن حياته هو . وذات يوم استيقظ من نومه مفزوعا على ضجة في جانب المغارة فتساءل عن مصدر هذه الحركة ، واتجه نحو المكان الذي حدثت به هذه الضجة ، ولكن صاحب الحركة ، الذي أحدث ضجة في المغارة ، فر عندما أحس بقدوم السندباد ورغم فراره استطاع السندباد أن يتبين أنه وحش فتبعه الى صدر المغارة ، وهناك لاح له نور ينبعث من مكان صغير ، فاتجه نحوه فعرف انه ثقب يخفي خارج المغارة. وعندئذ هدأ روع السندباد ، واستبشر بالنجاة بعد طول انتظاره ، وخرج من ذلك الثقب ليطلع عما حوله ، فوجد نفسه فوق جبل عظيم مطلّ على بحر مالح . ثم رجع الى المغارة ، وأخذ زاده ، وارتدى البسة من ثياب الأموات ، وعاد الى الجبل ومكث فيه مدة من الزمن ، الا أنه كان يتردد يوميا على المغارة ليقتل من يدفن بها حيا ، ويتزود بزاده كالعادة حتى يضمن لحياته الاستمرار واستمرّ الوضع

هكذا الى أن أبصر ذات يوم مركبا يسير وسط البحر، فأخذ يلوح له بثوب أبيض، واستجاب له قائده وهب لانقاذه، فالتحق البطل بالمركب، وتابع الجميع طريقهم في اتجاه البصرة. وبعد مدة توقفوا بها، واقام السندباد مدة بالبصرة، ثم غادرها الى بغداد حيث التحق ببيته وأهله وذويه، وتصدق ووهب وعاش في دياره عيشة هنية.

نسي السندباد كل ما حدث له في هذه السفرة. وذات مرة حدثته نفسه بالسفر، فلم يستطع رد هذه الرغبة الجارفة، وعزم على السفر، وحزم أمره واتجه نحو البصرة حيث اشترى بضاعة ومركبا، واكترى للمركب قائدا ومساعدين، وصحب معه غلمانه، وأقلع المركب يمخر عباب البحر، والكل يفرح ويمرح مستبشرا بالسلامة.

وتوقف المركب بجزر عديدة، فباع الركاب واشتروا وكسبوا مالا وفيرا، واستمروا على هذه الحال مدة من الزمن الى أن حلوا ذات يوم بجزيرة مقفرة خربة، رأوا فيها قبة بيضاء كبيرة الحجم، فصعدوا فوق الجزيرة لرؤية القبة، فاذا هي بيضة طائر الرخ. فأخذ بعضهم يرمي البيضة بالحجارة، لأنهم لم يكونوا يعلمون أنها بيضة رخ، فانكسرت البيضة وكشفت عن فرخ رخ بداخلها، فسحبه رماة الحجارة وذبحوه، وأخذوا منه لحما كثيرا. ولم يكن السندباد، الذي كان قد مكث بالمركب، يعلم

بما حدث ، وعندما تنبه للأمر ، راح يحاول منع حدوث ذلك دون جدوى . وفجأة غابت الشمس ، وأظلم النهار ، واحتار الجميع فرفعوا رؤوسهم متسائلين عما حدث ، فاذا هي أجنحة طائر الرخ قد حجبت عنهم ضوء الشمس ، كان الطائر قد لاحظ أن البيضة قد انكسرت ، فأتى برفيقة له ، وراح الاثنان يحومان حول المركب ويطلقان صرخات أشد دويا من الرعد . فصرخ السندباد ، وأمر قائد المركب بالاقلاع فورا . فصعد التجار الى المركب ، وأقلع القائد بسرعة ، الا أن طائري الرخ تنبها لفرار المعتدين ، فأتى كل منهما بصخرة ضخمة ، ورمى بهما المركب فانكسر وغرق الجميع الا السندباد ، الذى يسّر الله له لوحا من ألواح المركب المحطم ، فتعلق به وراح يجذف والريح والموج يساعدانه الى أن رمته المقادير الى الجزيرة التى تحطم المركب بالقرب منها . فصعد اليها وكان فى غاية التعب والارهاق . فانطرح على الأرض وارتاح قليلا ثم نهض ليطلع على المكان الذى حلّ به فلاحظ أن الجزيرة عبارة عن روضة من رياض الجنة ، ذات أشجار يانعة ، وأنهار دافقة ، وطيور مغردة ، تسبح بحمد من له العزة والبقاء ، فأكل السندباد من الفواكه ، وشرب من ماء الأنهار وحمد الله وشكره ، وقضى يومه مرتاحا ، ونام ليله . وحين نهض فى الصباح ، ومشى بين الأشجار ، أبصر ساقية فوق عين جارية وقد جلس قربها شيخ ملفوف بورق الأشجار ، فظنه السندباد من الغرقى ، ودنا منه وحياه ، ولكن الشيخ

لم يردّ على تحيته الا باشارة ، وأومأ اليه أن يحمله على كتفيه لينقله الى جانب ساقية ثانية ، فانصاع السندباد لأمره رغبة منه في نيل الثواب ، وحمله الى حيث أمره . الا أن الشيخ رفض النزول من فوق كتفي السندباد عندما أوصله الى جانب الساقية الثانية ، وراح يضغط بقسوة على رقبة الرجل برجليه وحاول السندباد عبثا التخلص من هذا الشيخ ، فأصبح رهن اشارته ليلا نهارا ، ونال التعب منه وراح يلوم نفسه على فعل الخير الذي انعكس عليه شرا . واستمر حاله هكذا الى أن اهتدى يوما الى صنع خمر من عنب الجزيرة ، تساعده على تحمل ما سلط عليه من تعب ، فراح يرتشف منها بين الحين والحين ، وأثار فضول الشيخ ، فطلب منه أن يناوله مما يشرب ففعل وأسكرت الخمرة الشيخ فغاب عن وعيه ، وعندئذ ألقى به السندباد على الأرض ، وهشم رأسه بصخرة كبيرة ليتخلص من شره الى الأبد . ومضى يسير في الجزيرة ، وعاد الى الساحل ومكث مدة من الزمن ، يأكل من ثمار الأشجار ، ويشرب من مياه الانهار مترقبا فرصة العودة الى الوطن . وذات مرة رسا مركب بالجزيرة ، فانضم السندباد الى ركابه ، وهناك علم أن الشيخ الذي حمله على كتفيه كان شيخ البحر . ولم يسبق له أن وقع أحد في قبضته ونجا منه الا السندباد . وبعد مدة من السير في البحر ، رسا المركب بمدينة القرود ، وهي مدينة تطلّ

على البحر ، يهجرها سكانها كل مساء ليبيتوا في زوارق على البحر خوفا من هجوم القرود عليهم ليلا . وصعد السندباد الى هذه الجزيرة للاستطلاع ، غير أن المركب واصل طريقه تاركا اياه بمدينة القرود ، فحزن السندباد لضياع فرصة العودة منه وراح يبكي . فأتاه رجل من أهل المدينة ، واستضافه في زورقه ، وعند الصباح عاد جميع السكان الى المدينة لأن القرود تصعد الى الجبال نهارا . وأشار أحدهم على السندباد أن يعمل معهم حتى يكسب رزقه ، ويدخر مالا يساعده على السفر والعودة الى وطنه . فامتثل السندباد للنصيحة ، وخرج مع جماعة من الناس لجمع جوز الهند من الجبل ثم بيعه في المدينة . وكان هذا الجمع يتم بطريقة غريبة ، ذلك أن المشتغلين في هذا المجال من سكان المدينة كانوا يصعدون الى الجبال حاملين أكياسا مملوءة بالحجارة . ويقفون في الجهة المقابلة للجبل ، الذى تقيم فيه القرود ، ويأخذون في قذفها بالحجارة فترد القرود على ذلك و تقذفهم بحبات جوز الهند . وعندما تتيسر كمية كبيرة من جوز الهند ، يكف الرجال عن قذف الحجارة ، ويجمعون الجوز الملقى على الأرض ، وينزلون الى المدينة ليبيعوا بضاعتهم . واستمر السندباد مدة في ممارسة هذا العمل ، الذى ذرّ عليه مالا كثيرا . وذات يوم رسا مركب بالمدينة ، فحزم السندباد أمره ، وودّع مضيفه والتحق بالركاب وأبحر الجميع في اتجاه

البصرة ، ورسوا بها بعد أيام . ونزل السندباد ، وأقام في المدينة مدة قصيرة ، ثم عاد الى دياره وأهله ، في بغداد فتصدق ووهب ، وعاد الى ما كان عليه من عيش رغيد .

ولكن الحنين عاوده الى السفر والترحال ، واشتاقت نفسه الى السفر والتجارة اثر لقائه بجماعة من التجار كانوا قد عادوا من رحلة . فهيأ نفسه ، وترك بغداد في اتجاه البصرة حيث أبحر على متن سفينة في سفرة سادسة . وقضى المسافرون مدة من الزمن ، يبيعون تارة ويشترون تارة أخرى ، وهم في كل الحالات يتفرجون على بلاد الناس . وذات يوم ، تاهت بهم السفينة ، ولم يعد القائد يهتدي الى أيِّ اتجاه ، ثم هبت عليهم عاصفة ريح فقلبت السفينة على مؤخرتها ، ثم مالت على جبل عال فانكسرت وغرق الكثير من الركاب ، وتسلق بعضهم ذلك الجبل . وكان السندباد من بينهم ، وصعدوا فوقه فاذا هم فوق جزيرة بها مراكب كثيرة محطمة غرق ركابها وطرح البحر خيراتها على الساحل .

سار السندباد في الجزيرة التي كان الركاب قد انتشروا فيها بعد نجاتهم من الغرق . وطالت الاقامة بهم فيها ، فماتوا جوعا وحسرة ، ولم يبق منهم الا سندباد الذي لم يكن معه هو الآخر الا القليل من الزاد ، فحزن على نفسه ، وتمنى لو أن الموت أدركه قبل رفاقه فيكون الوضع أهون . ولما أحس بتردي صحته ، حفر حفرة وعزم على أن يلقي بنفسه فيها اذا ما

أحس بدنو أجله . ثم أخذ يتأمل المكان الذى هو به ،
فاهتدى الى أن النهر الذى يجرى أمامه لابد أن تكون له
نقطة نهاية كما أن له نقطة بداية ، ولابد أن يمرّ في سيره
بمكان معمور . فعزم على صنع فلك صغير يمكنه من عبور هذا
النهر ، فان وجد خلاصا نجا وان لم يجد مات داخل النهر .
وصنع فلكا من العود الصيني وعود قمارى وألقى به فى النهر
بكل حمولته ، وسار يجذف في النهر الى أن وصل الى ممرّ
في باطن الجبل ، فانطلق فيه ، وكان الظلام دامسا ، فأعياه
التعب ونام . واستمر الفلك سائرا وعندما استيقظ وجد نفسه
فى النور بمكان واسع ، والفلك مشدود الى جزيرة وحوله جماعة
من الهنود والأحباش ، فنهض السندباد ، وعندها خاطبه
هؤلاء الناس بلسانهم ، فلم يفهم عنهم شيئا ، وظن
نفسه يعيش حلما ولم يردّ عليهم . فتقدّم رجل من بينهم ، وخاطبه
بلسان عربي وحياه وسأله عن هويته وموطنه وسبب مجيئه الى
بلادهم . وأخبره أنه ورفاقه أتوا لسقي الزرع فوجدوه نائما
في الفلك فأمسكوا الفلك وشدّوه برباط الى أرضهم الى أن أفاق
هو من النوم . فطلب السندباد منهم طعاما ، ووعدهم بأنه
سوف يخبرهم بكل شيء حالما يفرغ من تناول الطعام . فقدموا
له طعاما وعندما أنتهى من الأكل أخبرهم بكل ما جرى له .
وعندئذ قرر الجماعة تقديمه الى الملك ليخبره بنفسه بكل ماحدث

له ، وقدموه للملك فأحسن استقباله وأكرمه ومكث السندباد مدة من الزمن بهذه الأرض الى أن قدم مركب ذات يوم ورسا بالجزيرة وكان متجها الى البصرة فودّع السندباد الملك، ورفاقه وعاد الى البصرة محمّلا بالهدايا ، واتجه الى بغداد حيث التحق ببيته وأهله فوهب وتصدق ، وعاش في رغد ولهو وطرب.

وانقضت الأيام والليالي وتاقت نفس السندباد الى السفر وعشرة التجار وسماع الأخبار فجهّز نفسه وترك بغداد الى البصرة حيث أبحر في مركب ، كان على أهبة السفر في رحلة سابعة ، وسار المركب يمخر عباب البحر مدة من الزمن وفجأة هبت عليهم ريح عاصفة ، وهطل مطر شديد الغزارة ، ولم يلبثوا أن وجدوا أنفسهم في آخر بحار الدنيا وأخبرهم قائد المركب أنهم حلّوا باقليم يطلع به حوت يبتلع كل مركب وصل اليه ، ويسمى هذا الاقليم اقليم الملوك ، وبه قبر سيدنا سليمان بن داود . وفيما كان القائد يتكلم ، اذا بالمركب يرتج ، وطلعت عليهم ثلاثة حيتان ، يحاول كل واحد منها ابتلاع المركب ، ولكن ريحا عاتية صدّت الحيتان ، وحطمت المركب، فتفرقت ألواحه وغرق الركاب كما غرقت البضائع كلها وبقي السندباد وحيدا ، فسبح في الماء الى أن بلغ لوحا من حطام المركب فتعلّق به ، وراح يصارع الموج والريح طيلة يومين الى أن بلغ جزيرة فصعد اليها ، وأكل من ثمارها ، وشرب من

مائها ، وتجول في أرجائها ، فرأى في جانبها الآخر نهرا يجري بقوة . فتذكر أمر الفلك ، فجمع أخشابا ، وصنع فلكا ، وركبه وسار في ذلك النهر وأخذ يبعد عن الجزيرة واستمر يسير ثلاثة أيام ، لم يتناول خلالها شيئا . وكان ينام جلّ الوقت الى أن بلغ به الفلك جبلا عاليا ، فأراد أن يتوقف عن السير عندما أبصر نفقا في باطن الجبل ، يواصل النهر فيه جريانه ، ولكن التيار جرف الفلك وأدخله في النفق فسار فيه الى أن رسا بالقرب من مدينة جميلة المنظر ، يسكن بها خلق كثير . وأقبل الناس على السندباد ، وتلقاه كبيرهم ورحب به وأخذه الى بيته في ضيافته ، فأكرمه ، وأمر غلمانه بالسهر على راحته ، ومكث السندباد ثلاثة أيام ضيفا عليه ، وفي اليوم الرابع نزل مع مضيفه الى الشاطئ ، فوجد الفلك مفككا ، فعرض عليه مضيفه بيعه بالمزاد لأن لوح الفلك من خشب الصندل المرغوب فيه كثيرا . وبيعت أخشاب الفلك بالمزاد ، وقبض السندباد ثمن البضاعة وعاد هو ومضيفه الى البيت . وهناك عرض الشيخ عليه أن يزوجه ابنته ويولّيه على شؤونه ، لأن السن تقدمت به ، ولم يعد قادرا على النهوض بمهامه . قبل السندباد العرض وتزوج وعاش بهذه المدينة مدة من الزمن . وعندما توفي والد زوجته ، وضع يده على ثروته كلّها ، وأصبح

ذا مكانة في المجتمع ، واختلط بالناس، واكتشف أن رجال هذه المدينة يتغير مظهرهم عند رأس كل شهر، فتصبح لهم أجنحة يطيرون بها ، فيغادرون مدينتهم ولا يبقى بها غير الأطفال والنساء واحتال السندباد على أحدهم حتى قبل أن يرافقه في رحلته، فتعلق به وطار الاثنان في الجو ، وراحا يحلقان في السماء، وما أن سمع الرجل المجنح تسبيحا في السماء ، وأخذ السندباد يسبح هو الآخر ويحمد الله ، وانبعثت نار من السماء ، كادت تحرق هؤلاء الرجال الشياطين ، حتى أسرع الرجل بالقاء السندباد على جبل عال وهو في أشدّ حالات الغيظ منه .
وبقي السندباد تائها بالجبل ، وفجأة خرج اليه غلامان بيد كل منهما قضيب من ذهب ، يرتكز عليه . فتقدم منهما وحياهما فسلماه قضيبا من الذهب الأحمر وانصرفا . وسار السندباد وهو يفكر في أمر الغلامين ، واذا بحية تخرج من تحت ذلك الجبل ، تكاد تبتلع رجلا ، وهو يصرخ ويستنجد ، فتقدم السندباد منه وخلصه من أنياب الحية ، وأصبح الرجل رفيقا ملازما له ، فسارا معا وفجأة خرج عليهما قوم كان من بينهم الرجل المجنح الذي حمل السندباد محلقا به في الفضاء ، فتقدم منه السندباد ولامه على مافعل به اذ كان ألقى به على ظهر هذا الجبل وتركه تائها لايعرف أية وجهة يتجهها . وعندئذ أخبره الرجل أنه تسبب في هلاك هؤلاء القوم بتسبيحه لله وحمده . فتعهد

السندباد بالا يعود الى مثل هذا التسبيح وبالتزامه الصمت حتى يتمكن الرجل ذو الجناحين من ارجاعه الى بيته . وهكذا عاد السندباد الى بيته حيث كانت تنتظره زوجته التي لم يكن قد أخبرها بشيء عن سفرته ، فهنأته بالسلامة ، وحذرته من مغبة مصاحبة هؤلاء القوم اخوان الشياطين ، وأخبرته أن أباها لم يكن منهم ، ثم راحت تحثه على بيع كل ما يملكان ليتركا هذه البلاد الى بلاد السندباد ، واستجاب السندباد لرغبة زوجته وباع كل ما كان فى حوزتهما وعادا معا فى مركب الى البصرة فبغداد حيث تاب عن السفر برا وبحرا وعاش بين أهله وذويه فى لذة ونعيم الى أن قضى نحبه .

الباب الثالث

المقارنة بين القصتين

الفصل الأول

أوجه التشابه والاختلاف

على مستوى المرحلات

1) أوجه التشابه على مستوى الرحلات

لاحظنا عند حديثنا عن هذين الأثرين أن آراء الدارسين متباينة حولهما واتضح لنا انعدام الدقة في محاولة تحديد الظروف التي أحاطت بتأليفهما ، وضبط تاريخهما ، مما حدا بالدارسين الى الاهتمام بقضية الحذف والاضافة في كل أثر . ويدل هذا بوضوح على انضواء كل منهما تحت ما يسمى بالأدب الشعبي .

وبادئ ذي بدء يجمع بين القصتين الحديث عن الرحلة البحرية . و" الرحلة برية كانت أو بحرية في المفهوم العام انجاز أو فعل فردي أو جماعي يتمثل في اختراق حاجز المسافة من أجل هدف معين بدافع ارادة الانسان وحركة الحياة على الأرض . . . والرحلة سواء كانت هواية أو احترافا فهي استجابة مباشرة لحوافز ودوافع محدودة تدعو بكل الحاح للحركة والانتقال من مكان الى مكان آخر " (1) .

ففي كلتا القصتين رحلات يقوم بها الانسان عبر البحار ، وفي كلتيهما مراكب وسفن وقادة لهذه السفن . وفي كل قصة يواجه الانسان الأمواج العاتية والرياح العاصفة ، ويتعرض للغرق وينجو ثم يرسو بجزر مجهولة ويلتقي بالسحرة والأموات ، والوحوش

---

(1) مجلة عالم الفكر ، العدد 4 ، المجلد 13 ، يناير فبراير مارس 1983 الكويت . ص 13 .

والشياطين ، الى غير ذلك من المخلوقات العجيبة .

وقد تفرض طبيعة القصة الشعبية وجود مثل هذه المادة الأولية فيها ، وهي من قبيل المعاني المشتركة بين الشعوب، مما يؤدي الى ظهور مثل هذه القصص المتقاربة مضمونا ، المختلفة بناء .

والحديث عن البحر والسحرة والمردة والوحوش وعالم الأموات يعد نوعا من المعاني المشتركة التي يهتدي اليها خيال رواة القصص الشعبي بالفطرة .

أما اذا تجاوز هذا الخيال المعاني العامة المشتركة بين الشعوب - والتي قد يلتقي فيها قصاص من شعوب مختلفة بمحض الصدفة - ووقع على الصور الخاصة أو المعاني الخاصة التي هي وليدة جهد خاص يتميز به راو عن آخر ، وتسلل الى هذه المعاني خيال راو لاحق ليأخذها عن راو سابق فان هذا يؤدي بنا الى القول بأن الراوي اللاحق قد تأثر بالراوي السابق ، وذلك ما نلاحظه في رحلات السندباد .

وسندباد القصة العربية يقوم بسبع رحلات بحرية ، أقل ما يقال عنها أنها تذكرنا في الكثير من حوادثها برحلات أوديسيوس .

فكلا البطلين يبحر ويجابه أهوالا ومخاطر تجعله يعيش مغامرات لم يكن مهيئا لها ولا توقع حدوثها . فأوديسيوس

ينطلق عائدا من طروادة بعد سقوطها متجها نحو " ايثاكا " موطنه ، عبر البحر ، وكان قد نسي أن يقدم القرابين الى الالهة فغضبت منه وتعهد " نبتون " اله البحار ، بالانتقام لأرباب الأولمبوس من أوديسيوس ورجاله ، وأرباب الاولمبوس هؤلاء ، والاله " نبيون " لم يكونوا الا تجسيدا لقوى الطبيعة المادية للانسان ، وهذا ما يؤكده أيضا الدكتور / أنس داوود فى كتابه " الأسطورة في الشعر العربي الحديث " معلقا عما جاء به البستاني في تعريبه لالياذة هوميروس بقوله " انه يعتبر هذه الأسماء - أسماء الالهة - تصويرا بيانيا لعناصر البيئة الطبيعية " (1) .. " فنبتون " اذا رمز لقوة البحر وجبروته والأمر شاق لامحالة على الانسان اذا ما أراد مجابهة البحر ومن يركب البحر لايأمن الغرق .

وكذلك كان الأمر بالنسبة للسندباد ، الا أن السندباد يكتفي ، بحكم المعتقد الاسلامي ، الذى طبع القصة بطابعه الخاص ، بوصف البحر ومخاطره ورياحه العاصفة كما يراها مجردة من عالمها الديني والأسطورى الذى أضفاه عليها اليونان القدماء .

---

(1) د . انس داوود - الأسطورة في الشعر العربي الحديث - مكتبة عين شمس - مصر - 1975 - ص 36 .

وهذه الرياح في الحقيقة سواء هبت بايعاز من اله البحر " نبتون " كما في قصة " الأوديسية " ، أو هبت بفعل القدر ووفقا لحركة الطبيعة كما فى حكاية السندباد ، فهى ترمز الى قوة من قوى الطبيعة المعادية للانسان والتى لايستطيع الصمود أمامها الا بمعجزة .

ولعل مواجهة البطلين لأهوال البحر فى يأس وقنوط من النجاة ترمز الى صراع الانسان الأبدى مع الطبيعة ، من أجل استمرار الحياة .

ومما يقرب بين القصتين أن البطلين يبحران لا حبا في البحر ومغالبة أمواجه ، وانما لأسباب فرضتها عليهما ظروف نفسية واجتماعية .

فالسندباد عزم على الترحال بحرا بعد أن فقد كل ما يمتلك من ثروة وأصبح معدما فلم يعد وجوده في مجتمعه يشكل وزنا . فقرر أن يسافر ليتجاوز حياته الرتيبة بكل ما تمثله من قيود وأعباء ، وسعي ليحقق نفسه وذاته ويعيد مركزه في المجتمع بعد عودته من السفر ، فالظروف النفسية والاجتماعية هي التي كانت وراء اختياره هذا .

وكذلك كانت الحال بالنسبة لأوديسيوس ، فوجوده في طروادة لم يعد له ما يبرره بعد الانتصار الذى أحرزه الاغريق ولم يعد يشكل وجوده خارج وطنه وزنا . فكان عليه أن يرحل في طريق العودة الى بلده . فكان هو الآخر مدفوعا بحكم

ظروفه النفسية والاجتماعية الى هذا الرحيل . وعليه لم يكن التغيير المكاني في القصتين هو المقصود في حد ذاته .

ولعل هذا ما جعل جهود الباحثين الذين حاولوا رسم خريطة جغرافية لكل من الرحلتين عديمة الجدوى.فقد صرح " فينلي " في كتابه " عالم أوديسيوس " بأن كل المحاولات التي سعت الى تتبع أسفار أوديسيوس في عالم المجهول على الخريطة أخفقت " .(1)

كما اعترف الكثير من الدارسين بأن التعريف بجغرافية قصة السندباد لم يعط الثمار المرجوة . وهناك من يعلل ذلك بأن الرحلة البحرية العربية وغيرها أبى القائمون بها الافصاح عن ذكر تفاصيلها -. واحتفظوا لأنفسهم بكثير من أسرار معرفتهم الجغرافية تخوفا من المنافسة ، وخدمة للاحتكار الاقتصادي .(2)

ومما قد يقرب بين القصتين الاعداد للرحلة في كلتيهما . فالسندباد البحري مثل أوديسيوس يبحر مع جماعته بعد التأكد من المراكب ، ويحمل كلاهما متاعا اختاره ، ونوعا من الطعام والشراب ، يحبذ تناوله خلال الرحلة ، كما نلاحظ أن الاثنين

---

(1) م .ا . فينلي ، المرجع السابق . ص 31 .
(2) مجلة عالم الفكر ، المرجع السابق . ص 13 وما بعدها .

لم يستشيرا المتنبئين بالطقس ليحددا سفرهما . ونلاحظ أيضا أن البطلين لايحملان هدايا بقصد تقديمها خلال الرحلة لمن يستحقها . وأخيرا ليس هناك مراسيم توديع البطلين من طرف جماعة ترافقهم الى ميناء الابحار . ولعل انعدام توفر كل شروط الاعداد للرحلة في كلتا القصتين يعود الى ابحار البطلين استجابة للقدر لا بدافع الارادة الواعية .

ومما يلفت الانتباه على مستوى التماثل بين القصتين ، رغم ما يبدو فيهما من تمايز في الظاهر ، عدد الرحلات التي يقوم بها السندباد العربي وأوديسيوس . فالسندباد يقوم بسبع رحلات في كل رحلة منها يغادر مدينته بغداد ويبحر من البصرة ويعود بعد النجاة الى بغداد عن طريق البصرة في نهاية كل رحلة .

وعليه فالسندباد يترك بلاده سبع مرات ويعود اليها سبع مرات ، ولكن الصراع ، الذى كان يلقاه مع البحر ، قد جعل عدد مرات الابحار يستعصي على الحصر ، فما ان يغرق المركب الذى يقله ، وينجو ويخرج الى اليابسة ويستقر بها مدة حتى يعاوده الحنين الى الوطن . وعندما يجد الفرصة سانحة ، وترسو - مصادفة - بالجزيرة أو بشاطئ المدينة التي حل بها ، سفينة يركب فورا على متنها قاصدا وطنه . ولعل في تعداد الرحلات في القصة العربية ما يفيد الكثرة فقط .

ولعل في هذا التكرار أيضا ما يرمز الى حث الانسان على معاودة التجربة ، وجني الموعظة ، ودفعه الى السعي وارتياد

المجهول من أجل تجديد الأمل وبعث الحياة ، انها لقصة تجديد الحياة واستمرار الانسان .

أوديسيوس يترك وطنه مرة واحدة ويعود اليه مرة واحدة الا أن رحلته كانت طويلة جدا ، اذ دامت عشرين سنة ولعل هذه المدة ، التى غاب فيها أوديسيوس عن وطنه ، كانت كفيلة بأن تزيد من معرفة الانسان بالحياة وكان عدد مرات الابحار لا حصر له أيضا بالنسبة لأوديسيوس كما ان الأعمال ، التي كان البطل يقوم بها خلال هذه الرحلة ، لم تكن تخلو من حث الانسان على السعي ، وارتياد المجهول ، والتحلي بالأمل من أجل تجديد الحياة ، والمحافظة على استمرارية الانسان .

وسعي الانسان من أجل البقاء ،والدفاع عن استمرارية الحياة بتجديد الأمل ، وخوض التجارب بقوة وشجاعة ، هو الذى يدفع البطلين الى القيام بأعمالهما طوعا أو كرها في القصتين ، مهما بدا من اختلاف بينهما في عدد الرحلات .

وعلى مستوى التشابه أيضا يتيه بطلا القصتين ويخطئان الهدف من الرحلة فتتدخل الأقدار لتوجه المراكب البحرية فى اتجاهات مجهولة ، ولا يتم لهما ما كانا يريدانه من رحلتهما الا بعد عناء شديد .

أما على مستوى الأحداث التي يعيشها البطلان في رحلاتهما فالكثير منها في قصة السندباد البحرى يدل على تلاقى هذه القصة بالقصة اليونانية .

ففي الحكايسة الأولى للسندباد البحرى ، التى يقصها على مسامع السندباد البرى ، نجد أحداثا مشابهة للتى عاشها[1] السندباد الاغريقي ، فصورة النار أو الطهى الذى جعل السمكة التي صعد عليها السندباد ورفاقه ، ظنا منهم أنها جزيرة ، تنزل الى قاع البحر عندما أحست بالحرارة وتسببت في غرق الكثير من الرجال تشبه الصورة التي وردت فى الأوديسية عندما تخلى رجال أوديسيوس عن التزامهم بعدم التعرض لمواشي اله الشمش فصادوا منها ماشاؤوا وطعموا ، وتصاعدت فى الجزيرة روائح الشواء ، وعندها تنبه اله الشمس لما حدث ، وطلب من زوس رب الأولمبوس أن ينزل على المعتدين أشد العقاب. وأبحر رجال أوديسيوس ، وعندما أصبحوا فى عرض البحر هبت عليهم ريح عاصفة ، فتحطمت السفينة وغاصت الى الأعماق ، فتشبث أوديسيوس بقطعة من حطام السفينة ، ودفعته ريح الجنوب الى " عين خاريديس" التى توجد تحت هضبة ثمت فوقها الأشجار ، وتعلق بأغصان الأشجار حتى لايغرق . وانتظر الى أن أسعفه القدر فقذفت به الأمواج الى جزيرة كاليبسو" عروس البحر ابنة الاله " أطلس" ، فنال من الكرم ماود له قواه . وبقي هناك حبيسا الى أن جاء " هرمس" - اله التجار واللصوص رسول أبيه" زوس" الى الالهة والبشر - فأصدر أمر أبيه الى " كاليبسو" ، فأطلقت

---

(1) راجع ص 60/58 من هذا البحث .

سراح سجينها " أوديسيوس" الذى انطلق فى طريق العودة الى وطنه بمساعدة " هرمس" (1) .

فالطهي وارد فى القصتين ، وكذلك غرق السفينة برجالها الذى يقابله غرق رفاق السندباد ، وما " عين خاربديس" التى يغيض فيها ماء البحر والتي توجد تحت هضبة نمت فوقها أشجار فتوهم البحارة انها جزيرة ، وعندما حاولوا الاقتراب منها أهلكتهم ، فما هذه العين الا صورة تذكرنا بالسمكة الضخمة التى نمت فوقها الأشجار في حكاية السندباد .

وكما اسعفت الأقدار السندباد بأن قذفت به الأمواج الى جزيرة مهجورة فتمكن من الصعود اليها والمكوث بها مدة الى أن تمكن من اغتنام فرصة وجود رجال الملك المهرجان الذين أنقذوه ، كذلك قذفت الأمواج في الاوديسية بأوديسيوس الى جزيرة " عروس الماء كاليبسو " المهجورة .

ويتم اللقاء بين السندباد الاغريقى وعروس البحر فتسعى الى اغرائه ، وتحثه على البقاء معها مقابل أن تمنحه الخلود ، فيأبى ومن ثم لايتخلص أوديسيوس من عروس الماء الا بتدخل هرمس ، فينطلق فى اتجاه بلاد " الفياكيين " سادة البحار ، فيكرم الملك وفادته ، ويحمله بالهدايا ويهيء له العودة بحماية

---

(1) هوميروس ، الأوديسية ، ترجمة دريني خشبة ، سلسلة روايات الهلال ، دار الهلال العدد 253 يناير 1970 . ص 118/ 128 .

رجاله له .

لاحظنا أن السندباد البحري في القصة العربية صعد هو الآخر الى جزيرة مهجورة ، ورأى حصان البحر يطأ الفرس البري ولو لم يتدخل رجال الملك المهرجان لابعاد حصان البحر، لكان تبعه الفرس البرى الى البحر واختلط الجنسان . فهذه الصورة تتطابق مع ما ورد فى الأوديسية عند محاولة " كاليبسو" ابقاء أوديسيوس معها ليتم اندماج الجنس البشرى بالجنس الالهى ، لأن " كاليبسو " عروس ماء وابنة الاله أطلس، ولكن " هرمس" تدخل لصدّ عروس الماء كما تدخل رجال الملك المهرجان لصد حصان البحر ، وانقذ رجال المهرجان السندباد كما انقذ " هرمس" أوديسيوس" ، وقادوا السندباد الى الملك المهرجان كما قاد " هرمس" أوديسيوس" الى الملك " الكينوس" ملك " فياكيا " . وكما حمّل السندباد بالهدايا وودع من طرف الملك المهرجان ورجاله ، حمل كذلك أوديسيوس بالهدايا وودع من طرف الملك " الكينوس" و" الفياكيين " . وكما وجد السندباد المركب راسيا في انتظاره للعودة الى البصرة كذلك هيئت السفينة والرجال الذين يقودونها بالنسبة لأوديسيوس حتى يعود فى اطمئنان الى وطنه . (1)

أما اذا انتقلنا الى الحكاية الثانية من حكايات السندباد

---

(1) راجع ص 59 الى ٦٣ ممن هذا البحث .

البحرى فاننا نجد السندباد قد اشتاق الى التجارة والكسب والاطلاع على البلدان والجزر فقرر السفر ثانية وترك بغداد الى البصرة حيث أبحر على متن مركب برفقة تجار كثيرين كعادته .

ففي الجزء الأول من هذه الحكاية تلتقى القصة العربية بالقصة اليونانية ذلك ان أوديسيوس، عندما خرج من أرض " السيكلوب " المارد ذي العين الواحدة راح يذرع البحر مع من نجا من رجاله وأخيرا رسوا بجزيرة " الأيولييين " حيث مقر ملك الرياح ، واستقبل الملك أوديسيوس وسلمه جعبة من صنع " زوس " ، سيد الأولمبوس، حبس فيها رياح العالم أجمع وأحكم غلقها بسلك فضي ، ورجاه أن لا يفتحها حتى يضمن لنفسه ولرجاله العودة السليمة الى الوطن ، وساعده الملك على الابحار وسار البطل ثانية في البحر في اتجاه مملكته " ايثاكا " ، وبينما كانت السفينة تمخر عباب البحر ، استسلم أوديسيوس للنوم قليلا ، واغتنم رجاله الفرصة لفتح الجعبة والاطلاع على ما فيها من نفيس فانطلقت الرياح المحبوسة وهبت العواصف ، واستيقظ أوديسيوس ليجد الهدف الذى سعى من أجله قد ضاع منه ، وفرض عليه التيه في الجزر والبحار مرة أخرى بعد أن أوشك على الوصول الى وطنه . (1)

وكان السندباد قد استسلم هو الآخر للنوم قليلا ، وعندما

---

(1) هوميروس . الاوديسية . المصدر السابق . ص 92/ 103 .

استيقظ وجد المركب قد أقلع ، وتركه وحيدا بأرض مهجورة ، فضاع منه الاتجاه الذى سمى من أجله وفرض عليه التيه في الجزر و البحار مرة أخرى .

ويستفاد من الحكاية الثالثة (1) للسندباد أنه قرر السفر بعد فترة من الاستقرار ، وحزم أمره وقصد البصرة حيث أبحر على متن مركب برفقة تجار وركاب كثيرين .

نلاحظ أن الأحداث التي يعيشها السندباد في هذه الحكاية لا تعدو أن تكون صدى للأحداث التي مربها أوديسيوس بطل الملحمة الاغريقية ، وتكاد تتطابق في جزئياتها مع ما جاء في الأوديسية من أخبار عن أوديسيوس أثناء رحلته البحرية الطويلة حيث تطلعنا القصة بأنه حل بأرض " السيكلوب " وهم مردة لهم عين واحدة في وسط الجبين - ورد في أساطير الاغريق أنهم أبناء " نبتون " اله البحار والمحيطات - وقصد مغارة في الجبل وآوى اليها مع رجاله ، وكانت المغارة مأوى " يوليفيموس " أعتى " السيكلوب " وأكثرهم شرا . وبعد فترة رجع المارد الى مأواه فانقض على أكثرهم لحما و شواه على النار ثم أكله ، واستمر الأمر كذلك بضعة أيام ، فراح أوديسيوس يفكر في حيلة ليفلت من قبضة المارد فناوله أولا خمرا حتى أسكره ، فنام المارد نوما عميقا ، وعندئذ أدخل أوديسيوس سيخا ملتهبا

---

(1) راجع ص 60/ 62 من هذا البحث .

في عينه الواحدة فأفقده البصر ، وطاش صواب " السيكلوب" آكل لحم البشر ، ولما أيقن أن أوديسيوس أفلت من شره ، انقض على مركب البطل الذى أقلع مسرعا ، فرماه بحجارة ضخمة وكاد المركب أن يغرق بمن فيه ، الا أن أوديسيوس أفلح في الابتعاد عن أرض المردة " السيكلوب " مع بعض رجاله الذين نجوا من شر المارد " بوليفيموس" .

فالمغارة في الأوديسية يقابلها قصر المارد عند السندباد والقرود أو الوحوش التى استولت على مركب السندباد تقابل المردة الذين كادوا يفتكون بأوديسيوس ومن معه . والمارد " بوليفيموس" أكل لحم البشر في الأوديسية يقابله الشخص الأسود الذى التهم ثلاثة من رفاق السندباد في القصة العربية .

وآكلو البشر سواء في الأوديسية أو في قصة السندباد يستعملون نفس الطريقة في أكلهم للحم البشر ، فيشوونه . وكما أن السندباد فقأ عيني الوحش الأسود بسيخين ملتهبين كذلك فعل أوديسيوس ففقأ عين المارد بسيخ ملتهب ، وبعد نجاح الحيلة في القصتين يبحر البطلان لائذين بالفرار .

أما عن وجود السندباد في الجزيرة التى التهم بها الثعبان رفيقيه الباقيين ، فهذا ما يذكرنا بما حدث لأوديسيوس بعد نجاته من قبضة المارد السيكلوب " بوليفيموس" ، حيث صادفته

أهوال أخرى عندما حل بمدينة " لسترجونيا " (1) وهي أرض مردة بشعين ، فقد أمسك المارد الملك بأحد رجال أوديسيوس وضرب به الأرض فتهشم ، وفر الباقون على متن فلك مسرعين ونجوا بأعجوبة بعد أن انقض عليهم مردة " لسترجونيا " بالحجارة ومات أكثرهم .

فالحية (الثعبان) في قصة السندباد يقابلها في الأوديسية الملك المارد الذى قتل أحد رفاق أوديسيوس ، وكما نجا السندباد بواسطة تلك الأخشاب التي لفها حوله كذلك نجا أوديسيوس بواسطة الفلك . أما هجوم المارد الملك وزوجته ورعاياه المردة على المركب بالحجارة بأرض " لسترجونيا " ، الذى يبدو فيه تكرار ما حدث لأوديسيوس في أرض السيكلوب ، فنجد أن هذه الصورة قد استكملت في الجزء الأول من الحكاية الثالثة للسندباد حيث أن الوحش الأسود كان قد انقض على مركب السندباد بمساعدة أنثاه عكس المارد السيكلوب " بوليفيموس " الذى هاجم مركب أوديسيوس وحده دون أية مساعدة .

أما الحكاية الرابعة للسندباد (2) فتخبرنا أن البطل اشتاق الى مصاحبة الأجناس والبيع والكسب فترك بغداد واتجه الى البصرة حيث أبحر على متن مركب برفقة ركاب كثيرين .

---

(1) الأوديسية ، ترد ريني خشبة ، المصدر السابق ، ص 92/ 103 .

(2) راجع ص 62 / 66 من هذا البحث .

فالأحداث التي يعيشها السندباد في هذه الرحلة تتطابق في الكثير من جزئياتها مع الأحداث التي عاشها أوديسيوس قبله بجزيرة الساحرة " سيرسة " وعندما زار عالم الأموات .

فبعد ابحاره من جزيرة لسترجونيا ، ونجاته من بطش مردتها ، رست سفينة أوديسيوس بشاطئ جزيرة " ايايا " حيث تقيم الهة السحر وربة الغناء " سيرسة " ، وبعد قسط من الراحة على ساحل الجزيرة ، أوفد أوديسيوس جماعة من رجاله للاستطلاع عساهم يجدون خلاصا لهم من هذا التيه ، فاتجهوا الى وسط الجزيرة حيث كان الدخان يتصاعد واذا بهم يجدون قصرا مشيدا . تقطنه " سيرسة " وخدمها ونادى رفاق أوديسيوس على ربة البيت فأقبلت ورحبت بهم وادخلتهم قصرها المنيف ولم يتخلف عنهم الا واحد منهم خشي ان يكون وراء هذا الترحاب مكيدة دبرتها الهة السحر واستقر بمكان يشاهد منه كل شيء ولا يراه أحد . وأجلس الرجال بالبهو وقدم لهم الأكل والشراب وما ان انتهوا من تناوله حتى ذهلت عقولهم . ثم ضربت " سيرسة " كلا منهم بعصاها السحرية . فاستحالوا خنازير . وسلمتهم الى راعي الخنازير ليسهر على اطعامهم حتى يكتنزوا ثم يذبحون ويصنع من لحمهم أكل شهي .(1)

---

(1) هوميروس ـ الأوديسية ، ترجمة دريني خشبة ، المصدر السابق ، ص 92/ 103 .

اذا نحن تصفحنا القصتين فاننا نلاحظ أن ما حدث لرفاق أوديسيوس هو نفسه ما حصل لرفاق السندباد .

فالعمارة في قصة السندباد تقابل قصر" سيرسه" في الاوديسية والطعام والشراب اللذان قدما لرفاق السندباد فأذهبا عقولهم يقابل الطعام والشراب اللذين قدما في قصر " سيرسة" لرجال أوديسيوس فأحدثا نفس المفعول وكما استحال رفاق السندباد الى بهائم سلمت لمن يرعاها لتكتنز وتذبح ثم تأكل كذلك استحال رفاق أوديسيوس الى خنازير سلمت الى راعيها لتكتنز وتذبح ثم تقدم طعاما" لسيرسة" . وشخصية " سيرسة" المخادعة التي غدرت بالغرباء تقابلها شخصية الملك الذى غدر برفاق السندباد ، وتجرى الأحداث كلها بجزيرة في القصتين العربية واليونانية .

أما اذا انتقلنا الى الجزء الثاني من رحلة السندباد الرابعة والذى يخبرنا فيه أنه حل بقوم أكرموه وتزوج من احدى بناتهم وما أن وافتها المنية حتى دفن معها جريا على عادة أهلها ، ثم يخبرنا كيف نجا من هذه المغامرة الرهيبة بفضل وحش تسلل الى المغارة ، فنلاحظ أن الأحداث التى عاشها البطل تشبه بعض ما ورد في الأوديسية بخصوص زيارة بطلها الى عالم الموتى (1) .

---

(1) هوميروس، الأوديسية ، ترجمة دريني خشبة ، المصدر السابق، ص 104 / 117 .

فأوديسيوس مثل السندباد يرحل الى عالم الأموات وهو لايزال على قيد الحياة وكما أن السندباد يدفن حيا بسبب وفاة زوجته طبقا للعادة المتبعة في البلاد التي حل بهما ، ويمكث مدة في المغارة مع الأموات ، كذلك مكث أوديسيوس مدة في العالم السفلي بايعاز من " سيرسا " الهة السحر ، فكان المتسبب في وجود البطلين في عالم الأموات امرأة في القصتين العربية واليونانية .

وكما خرج السندباد مذعورا من مغارته فور عثوره على الثقب وهو ممزق بين أمل ضعيف ويأس يكاد يكون مطلقا ، كذلك يرجع أوديسيوس من عالم " بلوتون وبرسفوني "(1) مذعورا ومسرعا خوفا من أن يفقد الحياة وتستحيل عودته الى عالم النور .

أما صورة الوحش الذى يهدي السندباد الى سبيل الحياة ويمكنه من الانتصار والاستمرار في الحياة رغم هروبه من السندباد ، فهي تشبه الى حد بعيد صورة الشبح الذى تراءى عن بعد أيضا لأوديسيوس وهو شبح العراف " تيرزياس " الذى أحضر البطل روحه وفق طقوس قام بتأديتها ، فأطلعه الكاهن الذى احتفظ بقدرته على استكناه الغيب حتى بعد انتقاله الى العالم السفلي كما جاء في الأساطير اليونانية ، أطلعه على سبل الانتصار على مصائبه ليتمكن من العودة والاستمرار في الحياة .

---

(1) في الميتولوجيا اليونانية ، بلوتون وبرسفوني هما ملك وملكة العالم السفلي .

وكما أن السندباد كان يقتل كل من رافق الميت الذي يدفن بالمغارة ، فيأخذ زاده حتى يؤمن حياته ، فأوديسيوس هو الآخر كان يقدم القرابين والنذور الى الموتى حتى يسلم من أذاهم ويحافظ على حياته وحياة رجاله . وفي الأخير تحدثنا الأوديسية عن معاشرة " سيرسة " لأوديسيوس لمدة طويلة حيث وفرت له ولرجاله العيش الرغيد ، ونجد صدى لهذا الحدث في حكاية السندباد حيث أنه هو الآخر تزوج ومكث مدة مع زوجته قبل وفاتها ينعم بعيشة هادئة .

ومن صور التشابه بين القصتين العربية واليونانية التي تستدعي تأمل الدارس ما ورد في حكاية السندباد البحري الخامسة التي يستفاد من جزئها الأول أن البطل (1) ترك مدينته بغداد واتجه الى البصرة حيث اشترى مركبا وأجر له طاقما وأخذ معه بضاعة متنوعة ، ورافقه غلمانه ، وأقلع المركب وواصل رحلته من جزيرة لأخرى والتجار يشتغلون في البيع والشراء . واستمر الأمر هكذا الى أن وصلوا ذات يوم الى جزيرة مهجورة بها قبة عظيمة بيضاء كبيرة الحجم ولم تكن هذه القبة الضخمة في الحقيقة سوى بيضة رخ كبيرة . وقد تعرض رفاق السندباد الى سخط طيور الرخ بعد أن كسروا البيضة ، وهلكوا غرقا .

---

(1) راجع ص 66/ 70 من هذا البحث .

فاذا انتقلنا الى الأوديسية وجدناها تطالعنا في النشيد الثاني عشر (1) عن أخبار أوديسيوس ورفاقه بعدما رسوا بمركبهم بجزيرة الشمس، التي ترعى بها قطعان " أبولون " اله الشمس ، فقد حاول أوديسيوس ان يثني رجاله عن الوقوف بهذه الجزيرة ، ولكنه لم يستطع فرضخ لارادتهم بعد أن نبههم الى الخطر الذى سيحدق بهم ان هم أصابوا هذه القطعان بأذى وأقسم رجال أوديسيوس ألا يفعلوا مهما ألحت عليهم الحاجة وكان معهم من الزاد الكثير الا أن رياحا معاكسة حالت دون ابحارهم فطال بهم المكوث بالجزيرة ، وأخذ الزاد يتناقص يوما بعد يوم وبدأت الحاجة تلح ، فأقدم رجال أوديسيوس، ناقضين عهدهم ، على صيد مواشي وانعام الاله " أبولون " وذبحوها وطعموا منها ملء بطونهم، وقد تم كل ذلك في غياب قائدهم أوديسيوس، الذى كان يجوب الجزيرة وشعر بالتعب ، فجلس ليستريح قليلا ، الا أنه أغرق في نوم عميق استيقظ على اثره فزعا ، وانطلق نحو رجاله ، ولكن ما ان اقترب منهم حتى اعتراه حزن شديد ، فقد أدرك ما بدر من رجاله من رائحة الشواء التي أخذت تملأ خياشيمه .

وعلم اله الشمس بما حدث وطلب من سيد الأولمبوس " زوس " ان ينتقم له من رجال أوديسيوس، والا هبط بشمسه الى العالم

---

(1) هوميروس، الأوديسية ، ترجمة أمين سلامة ، دار الفكر العربي ، ط 2 ، 1977 / 1978، ص 313/ 319 .

السفلي وترك العالم في الظلمات ، ووعده " زوس " بالنزول عند رغبته ، وهدأت الرياح المعاكسة فجأة بأمر من " زوس " فأسرع أوديسيوس ورجاله الى الفلك وانزلوه في البحر وأقلعوا فورا وعندما أصبحوا في عرض البحر هبت عليهم عاصفة هوجاء ، وسلط عليهم " زوس " صواعقه فتحطمت السفينة وغاصت الى الأعماق ، وغرق كل الرجال الا أوديسيوس الذى تعلق بقطعة من حطام الفلك ، وأخذت الأمواج تدفعه الى " عين خاريديس " تلك الدوامة البحرية المهلكة وصخرة " سيلا " ذلك الوحش الهائل القابع فى كهف سحيق ، الذى يمد أعناقه وأرجله خارج الكهف ليلتهم كل من جره سوء حظه ناحيته . وهال أوديسيوس الأمر ، فيئس من النجاة ، الا أن موجة عاتية دفعته من الأعماق فعلق بغصن من أغصان التينة الهائلة النامية فوق ضخرة " سيلا " وتشبث به الى أن دفعت الأمواج تجاهه بقطعة من حطام الفلك فهوى الى الماء وتعلق بها وراح يصارع الموج الى أن رسا بجزيرة عروس الماء " كليبسو " بنت الاله " أطلس " .

فالموقع في الحكايتين جزيرة مهجورة ، أما بيضة الرخ التي قذفها رفاق السندباد بالحجارة فانكسرت ثم أخرجوا منها فرخ الرخ وتناولوا لحمه فجلب عليهم فعلهم هذا غضب طيور الرخ وتعرضوا لانتقام شديد أدى الى هلاكهم غرقا ، فتقابل ما جاء في الأوديسية عن قطعان اله الشمس المحرمة على البشر ، فعندما اصطادها رجال أوديسيوس ، وأكلوا لحمها جلبوا لأنفسهم

غضب راعيها عليهم ، فانزل بهم " زوس" أشد العقاب ، وأهلكهم غرقا أيضا .

ونلاحظ كذلك أن الاقلاع تم بسرعة في القصتين فور شعور البحارة بدنو الانتقام منهم لما أقدموا على فعله .

وكما أن السندباد لم يتفطن لفعل رفاقه الا بعد فوات الأوان ، حيث مكث بالمركب فلم يكن بجوارهم ليصدهم عما أقدموا عليه ، نرى كذلك أن أوديسيوس كان هو الآخر بعيدا عن رجاله عندما أقدموا على صيد الأنعام المحرمة ، ولم يتفطن للأمر الا بعد أن وقع ما لم يكن في حسبانه .

وكما تحالف ضد رفاق السندباد طائر الرخ وأنثاه ، تحالف كذلك ضد رجال أوديسيوس اله الشمس " أبولون " و لمبتيا " راعية الغنم ، فقدم شكواهما " أبولون " الى " زوس " ليثأر لهما من المعتدين ، وكما أرسل طائر الرخ صخرتين عظيمتين تحطم بهما المركب وغرق كل الركاب ما عدا السندباد ، كذلك كان الأمر بالنسبة لأوديسيوس فقد أرسل " زوس " صواعقه على السفينة فتحطمت وغرق كل الرجال ما عدا أوديسيوس . وكما نجا أوديسيوس بواسطة قطعة من حطام فلكه كذلك نجا السندباد هو الآخر بواسطة قطعة من حطام المركب وصعد الا ثنان بعد صراع طويل مع الموج الى جزيرة .

واذا انتقلنا الى الجزء الثاني من حكاية السندباد الخامسة

نجد البطل ، الذى نجا من انتقام طيور الرخ وصعد الى جزيرة خالية ذات أشجار وثمار وأنهار تشبه روضة من رياض الجنة ، قد نال منه التعب فنام وعند الصباح مشى في الجزيرة وبعد قليل أبصر ساقية تجرى وبالقرب منها شيخ جالس ملفوف بورق الأشجار ، فحياه السندباد ظنا منه أنه أحد الغرقى نجا مثله ورد الشيخ التحية بالاشارة وسأله السندباد عن سبب جلوسه بجانب الساقية فلم يرد عليه وأشار على السندباد أن ينقله الى جانب الساقية الثانية وفعل السندباد وعندما هم بانزاله بالمكان الذى اختاره ، أبى الشيخ النزول (1) .

وتفيدنا الأوديسية بأن بطلها بعد نجاته من غضب " زوس" واله الشمس رمت به الأقدار الى جزيرة " كليبسو " عروس الماء حيث حبسته بنت " أطلس " ما يزيد عن سبع سنوات وعرضت عليه أن يتزوجها مقابل أن تمنحه الخلود ، وأن يعيشا معا فى هذه الجزيرة المهجورة ، التى توجد في أقصى المعمورة . الا أن البطل رفض العرض وبقي حبيسا عند عروس الماء دون أن يهتدي الى حيلة لخلاصه من هذه المصيبة . ومكث المدة كاملة يذرف الدموع على حظه التعس ، ويضرع للآلهة ويصلى عساها تسعفه وتحقق أمنيته في العودة الى الوطن . واستجابت الآلهة بايعاز من " آثينا " ، الهة الحكمة ، فأرسل " زوس " رب الأولمبوس

---

(1) راجع ص 66/ 70 من هذا البحث .

رسوله وابنه " هرمس " ليصدر أمره لعروس البحر " كليبسو " باطلاق سراح أوديسيوس . ونفذت عروس البحر على مضض ما أمرت به وهيأت سبل السفر لأوديسيوس لترك جزيرتها . (1)

ويتضح مما ورد فى الحكايتين أن شيخ البحر الذى حبس السندباد مدة من الزمن تحته ، وهو يأمره فيأتمر بأمره ولا حيلة له غير الطاعة ، ما هو الا صورة لعروس البحر " كليبسو " التي استأثرت لنفسها بأوديسيوس وحبسته فى جزيرتها وأخضعته لطرق معيشتها ورغائبها حيث لم يكن يملك الا الخضوع . كما لاحظنا أن البطلين لم يتمكنا من ايجاد حيلة للخلاص الا بتدخل القدر الذى تمثل في تدخل الآلهة لمساعدة أوديسيوس بعد أن صلى طويلا ، في الأوديسية ، وتمثل فى أن يهتدى السندباد تلقائيا بعد أن أوكل أمره الى الله ، الى صنع الخمر ليخفف من تعبه وشقائه فكانت الخمر سببا فى نجاته ، فى القصة العربية .

واذا انتقلنا الى الحكاية السادسة من قصة السندباد نجد بها هي الأخرى صورا كثيرة مشابهة للصور التي وردت فى الأوديسية حيث يخبرنا الراوى أن السندباد اشتاق للسفر والتجارة فجهز نفسه وأخذ حمولته وترك بغداد متجها الى البصرة حيث أبحر

---

(1) هوميروس ، الأوديسية ، ترجمة أمين سلامة ، المرجع السابق ، الانشودة الخامسة ، ص 161 / 171 .

على متن سفينة برفقة ركاب كثيرين وساروا في البحر (1) .

أما صناعة الفلك التي قام بها السندباد خلال هذه الرحلة فتذكرنا بنفس العمل الذي قام به أوديسيوس ، عندما أذنت له " كليبسو " بمغادرة جزيرتها وراح يعد نفسه للرحلة .

وكما امتطى السندباد الفلك امتطاه أوديسيوس كذلك،فقد ساعدت الآلهة بطل الأوديسية رغم غضب " نبتون " اله البحار، ومكنته من الرسو بجزيرة الفياكيين بعد عناء شديد ،استسلم للنوم من التعب الشديد ثم استيقظ على صوت " نوسيكا " ابنة الملك " الكينوس " ملك " فياكيا " ، كذلك أسعف القدر السندباد حيث رسا به الفلك بعد مروره بالنفق المظلم ، بجزيرة وكان قد نام بدوره من شدة التعب ، ولما استيقظ وجد حوله عمال الحقول وكما ساعد عمال الحقول السندباد وقدموه لملكهم ، كذلك فعلت " نوسيكا " بمساعدة وصيفاتها حيث دلت أوديسيوس على الطريق المؤدي الى قصر أبيها وقدمت له الارشادات اللازمة ليحظى باهتمام الملك وكما أكرم الملك السندباد وحمله بالهدايا عندما قرر العودة الى وطنه وأوصى التجار بالسهر عليه ، كذلك أكرم الملك " الكينوس " أوديسيوس وعرض عليه أن يبقى معهم ان شاء ولما رفض البطل نزل الملك عند رغبته وحمله بالهدايا ، عندما قرر العودة الى وطنه ، وأرسل

---

(1) راجع ص 70/ 72 من هذا البحث .

معه البحارة الفياكيين ليسهروا على حمايته وعودته الآمنة الى وطنه .

نلاحظ أيضا أن الملكين في الحكايتين يعرضان على البطلين المكوث ببلادهما ان شاءا ، ولكن البطلين يرفضان ذلك ويفضلان العودة الى وطنيهما (1) .

وفى السفرة السابعة والأخيرة ، تخبرنا الحكاية أن السندباد بعدما تحطم المركب الذى أبحر على متنه من البصرة وغرق كل التجار ، تمكن من النجاة حيث رمت به الأقدار الى جزيرة مهجورة فمكث بها مدة وحيدا ثم صنع فلكا من خشب الصندل وأبحر عليه عبر نهر يجرى بقوة فدفعه التيار القوي الى أن رسا الفلك بجانب مدينة جميلة المنظر فيها خلق كثير (2) .

بعض ما حدث للسندباد في هذه السفرة الأخيرة يذكرنا بما حدث لأوديسيوس عندما نزل ضيفا على " ألكينوس " ملك الفياكيين فأكرمه وهيأ لعودته الى وطنه وعاد أوديسيوس فعلا الى وطنه فى حماية سادة البحار الفياكيين . وعندما وصل الى ايثاكا كان نائما فأخذه البحارة من الفلك ووضعوه على جانب الشاطئ وانزلوا معه حمولته كما حدث للسندباد ، وبعد ذلك نزل أوديسيوس ضيفا على راعي الخنازير" يوما يوس"

---

(1) كل ما ورد بخصوص القصة اليونانية مأخوذ عن ترجمة الاوديسية لأمين سلامة المرجع السابق فى الاناشيد 5 الى 13 ص 171/ 326 .

(2) راجع ص 72/ 75 ، من هذا البحث .

الأمين ، وكان شيخا كريما ، فأحسن وفادة ضيفه وقدم له كل ما في وسعه من مساعدة تماما كما فعل الشيخ كبير القوم مع السندباد ، واذا كان السندباد قد حظي وفاز في هذه البلاد بزوجة صالحة ، حصل بفضلها على المال والجاه ومكنته بنصحها من الابتعاد عن معصية الله ، وعدم معاشرة شياطين قومها ، حيث لم تكن هي ولا والدها منهم ، فهذا نفسه ما نجده في الأوديسية أيضا . فقد عاد أوديسيوس الى مملكته " ايثاكا " فوجد زوجته الصالحة الوفية " بنلوبي " في انتظاره ، وتمكن بفضل وفائها من القضاء على منافسيه واسترجاع ثروته وملكه(1). وما الأمراء العشاق الا صورة لهؤلاء الشياطين الذين ورد ذكرهم في قصة السندباد وهم عصاة ينفرون من ذكر الله ويتحدون الالهة .

أما النار التي خرجت من السماء وكادت تحرق هؤلاء الشياطين عندما سبح السندباد باسم الله ، فهي صورة مشابهة لما ورد في الاوديسية ، عندما تدخلت الالهة " اثينا " الهة الحكمة لمساعدة أوديسيوس في القضاء على العشاق العصاة القابعين في قصره ، فتم لاوديسيوس الانتصار عليهم بفضل سلوكه وعباداته وطاعته للآلهة كما تم للسندباد الانتصار على قوم الشياطين بفضل ذكره لله .

---

(1) هوميرس ، الاوديسية ، ترجمة دريني خشبة ، المصدر السابق ، ص129/ 210 .

وكما استقر السندباد نهائيا بعد هذه السفرة وعاش سعيدا مع زوجته كذلك استقر أوديسيوس نهائيا في ملكه يرعى أسرته وعرشه .

وبالاضافة الى أوجه التشابه هذه ، هناك أوجه أخرى تدعم اللقاء بين القصتين العربية واليونانية في سياقهما العام ، سوف نعرض لها عند حديثنا عن بطلي القصتين والشخصيات الأخرى .

2) **أوجه الاختلاف على مستوى الرحلات**

لقد اتضح لنا خلال الحديث عن الصلة بين القصص الشعبي العربي والقصص الشعبي اليوناني ، كيف أن الأدبين العربي واليوناني تفاعلا تبعا لما كانت تستوجبه الصلات التي ربطت بين الحضارتين ، العربية واليونانية على أكثر من صعيد ، ونتيجة للوسائل والسبل التي تيسرت لهما ، خاصة عند ازدهار الحضارة العربية في العصر العباسي .

كما اتضح لنا من خلال محاولة استقراء النصوص ان النص العربي تسللت اليه مؤثرات من النص اليوناني .

الا أن ما لاحظناه الى جانب ذلك ان محاولة الكشف عن مواطن التلاقي ، وصور التشابه بين الأثرين العربي واليوناني ، أدت الى الوقوف على أدوار ومواقف وصور وأخيلة ، تميزت بها تارة قصة عن أخرى ، واختلفت تارة من قصة لأخرى .

فكيف نفسر أسباب هذا التمايز بين القصتين رغم هذا التقارب الذي دعمته النصوص فضلا عن الصلة التاريخية ؟ .

وهل يعني تلقي شعب ما لمؤثرات أجنبية من تراث شعب آخر والاستجابة لبعض ما جاء فيه ، أن كل الحدود الفاصلة بين هذين الشعبين امحت وكل الفروق المميزة لكل منهما زالت؟ .

كلا ، فالتفاعل بين الأدبين اللذين عنيت بدراسة أثرين خالدين منهما لا يعني البتة ازدراء أحدهما ، بل يعني بالضرورة انهما التقيا في حقبة من حقب التاريخ ، واستفاد الأدب العربي في مرحلة نهوضه ، وازدهاره من الأدب اليوناني .

الا يقول " غوته " في معرض حديثه عن فك العزلة والحصار عن الأدب القومي : " ان في كل أدب حاجة دورية للتلفت نحو الخارج " (1) . أى أن أدب أمة ما لا ينهض الا بانفتاحه على آداب الأمم الأخرى ليجد منابع الهامه فتتجدد أفكاره .

وانطلاقا من هذا وحتى تكون الدراسة كاملة ، وجب علينا أن ندرس الأثرين الأدبيين اللذين هما موضوع بحثنا ، في ارتباطهما بالحياة الاجتماعية ، ونعني بالاجتماعية هنا أوسع ما تدل عليه كلمة اجتماع . ذلك أن التأثر بآداب الأمم الأخرى لايعني ان المتلقي المبدع ينقل ما تلقاه من الخارج

1) M.F. Guyard - la littérature Compareé P.U.F. Collection que sais-je? Paris-5é Edition 1969-Page 09.

دون أن يصبغ عليه من ثقافته ويعتمد على تراثه بالدرجة الأولى وهذا لا لشيء الا لأن الانسان بحكم معرفته ماضيه وادراكه لحاضره ، يستشرف مستقبله عن طريق استجابته التلقائية الغريزية لهذه المؤثرات باضافة معارف أسلافه وخبراتهم اليها ، كما يضيف اليها من تجاربه ويطوع ثقافته لتنتقل من جيل الى جيل ، ومن بيئة الى أخرى .(1)

وقد يدعم هذا ما ذهب اليه أحد الدارسين حيث قال : " ان شعر الأوديسية يعتبره دارسو الحضارة مصدرا أساسيا ، لكثير من المعلومات عن حضارة اليونان . فهو يصور كثيرا من أساطيرهم وعقائدهم وعاداتهم وقيمهم ومثلهم العليا " .(2)

من هنا يتضح لنا أن كل أثر أدبي له ما يميزه عن الآثار الأدبية الأخرى . وقد وجدنا بين القصتين السندباد البحري والأوديسية من أوجه الاختلاف ما يدل على تفرد كل منهما بخصائص ميزت كل قصة عن الأخرى تبعا للاختلاف في المعتقد السائد والبيئة الاجتماعية التي راجت فيها القصة ، والهدف الذي وضعت من أجله القصة ونسجت خيوطها ، مما يثبت صلة كل أثر بتراث الشعب الذي ظهرت فيه القصة وراجت بربوع بلاده .

---

(1) عبد الحميد يونس ، دفاع عن الفولكلور ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، 1973 ، ص 104 .

(2) د/ عبد السلام كفافي ، في الأدب المقارن ، دار النهضة العربية بيروت ، 1972 . ص 127 .

نجد في الأوديسية تصويرا واضحا للمعتقدات اليونانية القديمة ، فبطل القصة كثيرا ما يصلي للآلهة ويضرع لها لتفرج كربته . فالآلهة هي التي تتحكم في مصيره ، ولم يتمكن من الانطلاق في العودة الى وطنه ، بعد أن حبسته عروس الماء " كاليبسو " ، الا بعد تدخل الآلهة لأنه بطل من أبطال اليونان . أعلى شأن الاغريق ، ولأنه تحلى بالصبر ولم يتمرد على الآلهة رغم مالحق به من المصائب التي تسبب فيها بعض الآلهة وخاصة " نبتون " ، اله البحار ، الذى سلط غضبه على أوديسيوس انتقاما منه لابنه - السيكلوب " بوليفيموس " آكل لحم البشر - الذى أفقده البصر بطل الأوديسية . كما أن أوديسيوس تساه لأنه كقائد لفصيلة من فصائل الجيش لم يقدم القرابين للآلهة ، الذين ناصروا الاغريق على الطرواديين عرفانا لهم منه بالجميل خاصة وان الدور الحاسم في هذا النصر كان لأوديسيوس لأنه صاحب حيلة " الحصان الخشبي " التي مكنت الجيش الاغريقي من اقتحام حصون طروادة .

وقد ضل أوديسيوس طريقه لأنه توقف بعد أن ترك طروادة ، ببلاد " الكيكونيز " (1) ، وكان لايزال هو ورجاله يعيشون نشوة الانتصار فاعتقدوا مغرورين أن النصر سيكون حليفا لهم حيثما حلوا ، ففتحوا بلاد " الكيكونيز " واستولوا على كنوزها ، وعندما

(1) هوميروس ، الأوديسية ، ترجمة د رينى خشبة ، المصدر السابق ، ص81/ 91 .

أمر أوديسيوس رجاله بترك البلاد ، بعدما غنموا الكثير من خيراتها ، رفضوا الامتثال لأوامره واستمروا يعيشون فسادا في هذه المدينة . فهب أهل المدينة ، بعد أن أفاقوا من دهشتهم ، وجمعوا شملهم ، وأوقعوا بأوديسيوس ورجاله ففروا من المدينة يجرون أذيال الخيبة وبعد ابحارهم ارسل عليهم " زوس " سيد الأولمبوس ريحا عاتية ، حطمت المراكب ولم ينج من العاصفة الا القليل من الرجال ، وهكذا بدأت رحلة التيه منذ ذلك الحين انتقاما من غرور الانسان وطمعه وجشعه .

فالقصة اليونانية زاخرة بذكر الآلهة وابناء الآلهة وأعمال الآلهة وتصرفات الآلهة وتصريفهم لشؤون البشر ، وصراع الانسان مع الآلهة وصلاته بهم وتضرعه وخضوعه لهم وفق معتقدات اليونان القديمة التي انطبعت في القصة .

أما اذا انتقلنا الى قصة السندباد فلا نجد شيئا من هذا ، ذلك لأن القصة العربية التي اختلف في تحديد أصولها الأولى ظهرت وراجت في بيئة اسلامية فصبغ الدين الاسلامي القصة بصبغته وألبست الاستعارات التي انتقلت الى القصة العربية ، وكانت تنم عن فكر اسطوري وثني ، ثوبا جديدا وتم القضاء على كل ما من شأنه أن يذكر بالأصول الوثنية الأولى لهذه الاستعارات .

وقد يبدو التمايز بين القصتين العربية واليونانية واضحا من خلال وصف كل من البطلين للعالم الآخر ، فقد

كان السندباد في غنى عن هذا الوصف الدقيق الذي جاء به أوديسيوس، وذلك راجع الى أن التراث الاسلامي ، وكذلك الديانات السماوية ، التي سبقت الاسلام الى الظهور ، قدم وصفا وتصويرا دقيقا لعالم ما بعد الحياة الدنيا ، بينما حرص أوديسيوس على تقديم وصف للعالم السفلي وفق المعتقدات اليونانية ، لأن الديانات السماوية لم تكن قد ظهرت بعد آنذاك لتتولى الاجابة عن التساؤلات التي تراود الانسان عن العالم الآخر منذ أن خلق .

وتبعا لهذا المعتقد أيضا ، يقوم أوديسيوس باستحضار أرواح الموتى وفق طقوس ومما رسات معروفة عند اليونان ، وكان الغرض منها الاطلاع على صحف الغيب عن طريق العراف " تيرزياس" اما السندباد فكان تبعا للمعتقد الاسلامي ، يؤمن بأن علم الغيب من اختصاص الله وحده .

ومما يدل على صلة المعتقد بنسيج خيوط القصة اليونانية ما نلاحظه من تكامل في أدوار كل من البطل وزوجته ، حيث كان أوديسيوس قد تعرض لنقمة الآلهة ، لأنه أغفل تقديم القرابين لهم وفق ما تقتضيه معتقدات اليونان ، كما أنه أساء هو أو بعض رجاله لمن تحميهم الآلهة من أبنائها ورعاياها ، الا أننا نجد في مقابل هذا التصرف الخاطئ الذي صدر عن البطل ، تصرفا آخر يصدر عن

زوجته ويرجح كفه التوازن . ذلك أن زوجة البطل " بنيلوبي " تصارع في الداخل - في قصرها بايثاكا - أعداء زوجها وفق ما تمليه عليها القيم النابعة من المعتقدات السائدة في البيئة التي تعيش فيها ، وكان موقفها في الذود عن شرفها وتمثلها بالوفاء لزوجها ونبذ عروض العشاق المغرية ورفض تصرفاتهم المعادية لارادة الآلهة ، مما ساعد على اثارة الشفقة لدى الآلهة ، فتدخل كبيرهم " ز و س " لمساعدة زوجها التائه على العودة ، وهكذا تجازى الآلهة " بنيلوبي " الصبور على حسن صنيعها ، وتنزل أشد العقاب على الأمراء الفساق جزاء لاستهتارهم بالقيم النبيلة المتوارثة .

لقد سخطت الآلهة في الأوديسية على البطل ، ومن ثم سخرت الطبيعة ، فبدت في عداء شبه مطلق للبطل التائه ، فلم يتمكن من الانتصار عليها الا بفضل تدخل الآلهة وحاشيتها ثم بفضل ما بذله هو من جهد وسعي حثيث واحتكام العقل وسيطرة على المخاوف وتجلد بالصبر .

أما في القصة العربية فالطبيعة معادية أيضا للانسان ، ولكنها قد تصبح أحيانا مأوى له ، تحميه من الضرر وهذا ما اتضح لنا في حكاية السندباد في بلاد القرود ، حيث كان نزول القرود من الجبال الى المدينة مع غروب الشمس من كل يوم يقتضي من سكان هذه المدينة أن ينزلوا الى البحر لقضاء

ليلهم آمنين ، ولا يصعدون الى المدينة الا مع صباح اليوم التالي ، وهكذا أصبح البحر الذى طالما هدد الانسان مأوى آمنا يحمى هذا الانسان ممن شر الوحوش البرية .

ومن مواطن الاختلاف بين القصتين ، التى تعود الى الميول العقائدية ، هي أن البطل اليوناني ، رغم المعاناة التي يمر بها ويتجاوزها بما يأتيه من أعمال بطولية ، لايلجأ الى استعمال الفضاء ليحلق فيه بوسائل يهتدي اليها بذكائه، فالفضاء ملك للآلهة والتحليق فيه مقصور عليها .

أما السندباد فيستعمل البر والبحر والجو ويمتطي الطيور ويحلق فى الفضاء ، ليجتاز المسافات الكبيرة مغامرا من أجل تغيير واقع لا يرضيه ، مؤمنا بأن الحذر لاينجي من القدر .

كذلك تلعب الآلهة دورا كبيرا في ابراز بطولة أوديسيوس حيث أن رسو سفن البطل بجزيرة الشمس قد تم بناء على رغبة رجاله لا على رغبته هو . ولما تم لرجاله ما أرادوه ، ثارت الرياح المعاكسة ، التى منعت السفن من الاقلاع طيلة خمسة أسابيع ، فنفذ الزاد وأدت بهم الحاجة الى الصيد وأكل لحوم الأغنام المحرمة التى يرعاها اله الشمس، وهكذا أضيفت حلقة الى سلسلة الانتقام الالهى من رجال أوديسيوس، وينجو البطل وحده ليواصل رحلة المغامرة والتيه .

أما السندباد فبحكم الصبغة الاسلامية للقصة ، نجد رفاقه

يعتقدون على بيضة طائر الرخ اندفاعا لا استجلبه للحاجة، وهذا التصرف الطائش الذي صدر عن رفاق السندباد، ونتج عنه ايذاء مخلوقات لم تكن تحمل أي عداء للانسان دفع هذه المخلوقات الى الانتقام من الانسان لطيشه واندفاعه لأن الطبيعة تحكمها قوانين محددة .

ويبدو من خلال وصف الحيوان في القصة العربية ، ان الانسان ، اذا هو تحلى بالحذر ، فقد يكون الحيوان مصدر كسب كبير بالنسبة له وهذا ما تجلى في حكاية السندباد في بلاد القرود . فالقرود المتوحشة ، على عدائها للانسان حين ترغم سكان المدينة على الهجرة وترك الديار في كل مساء لقضاء الليل بالبحر ، تصعد في النهار الى الجبل ، ويتبعها رجال المدينة فيصعدون الى الجانب المقابل للجبل الذي يأوى هذه القرود وينهالون على الوحوش ، فيرمونها بالحجارة ، وترد القرود برمي الرجال بحبات جوز الهند وتستمر العملية مدة من الزمن ثم يلتقط الرجال جوز الهند وينزلون الى المدينة بأكياسهم ويتاجرون بهذه البضاعة التي تدر عليهم مالا طائلا .

وتحتفظ القصة العربية ، لكي تخفي الجانب العقائدي الأسطوري الوثني ، بفكرة المارد ، آكل البشر ، ولكنها تجعل له عينين بدلا من عين واحدة عرف بها المارد السيكلوب *

" بوليفيموس " ذلك المارد الذى تمكن أوديسيوس من أن يفقأ عينه الوحيدة وجر عليه وعلى رجاله ، بفعله هذا ، عقاب الاله البحار " نبتون " .

وتلعب الصدفة فى القصة العربية الدور الحاسم في انقاذ السندباد من الغربة والضياع ، ففي أغلب الأحيان ترسو سفينة بالجزيرة ، التي يكون السندباد تائها فيها أو مقيما بها ، غالبا ما تكون متجهة نحو البصرة ، أو يحط بالصدفة طائر مثل طائر الرخ أو نسر ، فيوفر للبطل وسيلة النجاة .

أما بطل الأوديسية فالصدفة لاتخدمه ، واذا ما تدخلت الآلهة ، فان تدخلها لايزيد على أن يدفعه الى العمل والجد ، فيصنع الفلك مثلا بنفسه ليبحر من جزيرة " كليبسو " ابنة " أطلس " (1) وهو الاله حارس الأعمدة التي تفصل السماء عن الأرض في المعتقدات اليونانية .

لقد لاحظنا عند حديثنا عن أوجه التشابه أن فكرة الانتصار على السحر والسحرة واردة في القصتين العربية واليونانية ، الا أن الانتصار فى القصة العربية يتمثل في نجاة البطل وحده دون أن يتدخل لمساعدة رفاقه بل ان البطل يترك فى معظم الحالات رفاق الدرب لمصيرهم المؤلم ، ويلوذ بالفرار . وقد

1-Victor Bérard-les Navigations d'Ulysse.Tome 3 Calypso ED. A. Collin Paris 1971 Page 220.

يعزى هذا الى أن طاقته البشرية المحدودة لم تمكنه من اسعاف رفاقه أو الى أن ممارسة السحر مما يتنافى مع المبادىء الاسلامية والقصة ذات طابع اسلامي كما نعرف . أما الانتصار في الأوديسية فمرده الى القوى الخارقة الالهية التي تتدخل لتساعد البطل ، فيقدم أوديسيوس على مساعدة رجاله وانقاذهم بوصفه قائدا لهم ، في أكثر من مغامرة . ونذكر هنا على سبيل المثال أن أوديسيوس عندما مسخ رجاله خنازير في قصر الساحرة " سيرسة " هب لنجدتهم بمجرد سماعه بالخبر ، معرضا نفسه بذلك للهلاك ، وربما كان يناله الهلاك لو لم تسعفه الآلهة وترسل اليه " هرمس " ، قبل أن يدخل القصر المشؤوم ليقدم له النصائح ويطلعه على أسرار سحرية ، كانت السبيل الوحيد لخروجه مع رجاله من القصر .

أما عن معاناة البطلين ، فان الصراع في القصتين العربية واليونانية كان قدرا محتوما ، واذا كان هذا الصراع يبدو في القصة العربية صراعا من أجل الحياة واستمرار الانسان ، فانه يبدو في الأوديسية صراعا فرضته الالهة على الانسان ، لأنه أخطأ في حقها ، ولذلك يحتم عليه أن يكفر عن خطيئته بمعاناته المريرة في الحياة . وهنا تلتقي الملحمة بالتراث الانساني العالمي حيث تذكرنا بالخطيئة الأولى التي ارتكبها الانسان في حق الله منذ آدم وحواء .

ومما يدعم مواطن الاختلاف بين القصتين صلة كل قصة بالتراث الأصيل المميز للبيئة التى راجت فيها واستقرت على الشكل الذى وصل الينا .

من ذلك أن احدى حكايات السندباد تروى لنا كيف حل البطل ببلاد القرود ، التى كان سكانها ينزلون الى البحر كل مساء ، فيقضون الليلة فيه ليأمنوا شر هذه الوحوش البرية . ولم نعثر على صورة مقابلة لهذه في قصة الأوديسية ، وانفردت القصة العربية بهذا التصوير وهذه الفكرة . ولعل تميز القصة العربية في هذه الحكاية كان نتيجة لصلتها بالتراث العربي القديم أعني الجاهلي ، حيث " أن العرب الجاهليين اعتقدوا أن ثمة علاقة بين القردة والدهر أو القدر الذى وحدوه بالخالق ، الذى هو في آخر المطاف الله ، فقالوا : في آخر الزمان تأتي المرأة فتجد زوجها قد مسخ قردا ، لأنه لا يؤمن بالقدر " (1) .

ويتضح من هذا أن صورة القردة عند السندباد كانت توظيفا لهذه الأسطورة ، حيث أن القردة فى حكاياته اتصفوا بالتمرد على الانسان وايذائه ، وفي معاداة الانسان الذى هو سيد الكائنات معاداة لله .

ويروى كذلك عن الجاهليين أنهم كانوا يرجمون القردة

---

(1) شوقي عبد الحكيم ، موسوعة الفولكلور الأساطير العربية ، دار العودة ، بيروت ط 1 ، 1982 . ص 562 .

الزناة [1] . وقد وظفت فكرة الرجم هذه في حكاية السندباد ، ولكن لغرض تجاري ، حيث أن سكان بلاد القرود كانوا يستغلون رد الفعل العدائي للقردة . فيجمعون حبات جوز الهند التي تضربهم به هذه الحيوانات ومن بيعها يحصلون على مال وفير .

وقد يكون الحديث عن الرحلة البحرية في قصة السندباد البحري صدى لما زخر به التراث العربي في مجال الرحلات البحرية ، اذ أن كتب التاريخ تؤكد على الريادة العربية في ركوب البحر والمغامرة الجسورة في المحيط الهندي وقد مارس العرب علميا رحلات بحرية منتظمة في عرض المحيط حيث وضعت هذه الرحلات هؤلاء الرواد في خدمة التجارة والاحتكاك التجاري والحضاري بين عالم المحيط الهندي وعالم البحر المتوسط [2] .

ويؤكد الدارسون من جهة أخرى أن العرب منذ أقدم العصور كانوا يميلون الى سماع الحكايات العجيبة [3] ، فتقبلهم لها كان حافزا لأصحاب المواهب على تأليفها ، وفي هذا الصدد

---

(1) المرجع السابق ص 562 .

(2) د . صلاح الدين الشامي ، مقال بعنوان " الرحلة العربية في المحيط الهندي ودورها في خدمة المعرفة الجغرافية " ، مجلة عالم الفكر ، الكويت ، العدد 4 المجلد 13 ، ص 13/ 40 .

(3) الموسوعة الاسلامية ، مادة ألف ليلة وليلة ، ص 369 / 375 .

لا بأس من ذكر ما أورده د. احسان عباس في كتابه " ملامح يونانية في الأدب العربي " ، حيث يقول : " ان مصادر الخرافات والأمثال ظهرت عند العرب في ثلاثة أنواع ، يتمثل المصدر الأول في كتب الحيوان للجاحظ والثاني في كتب الأدب مثل كتاب " البصائر " لأبي حيان التوحيدي ، والثالث في كتب الأمثال ككتاب الثعالبي " التمثيل والمحاضرة .(1)

وقد حظيت الأوديسية كملحمة خالدة في التراث الانساني باهتمام الدارسين في البحث عن صلتها بتراث الحضارات التي ورثتها حضارة يونان ، فرأوا أنه لا شك في وجود نواة " موكينية" فيها الا أنها كانت ضئيلة ، ونال منها التشويه .(2)

كذلك لاحظوا أن عودة أوديسيوس الى بلاده من " فياكيا " تمت في فلك ، وكان أوديسيوس نائما ولم يستيقظ الا بعد أن غادر الفلك الذي نقله الى وطنه " ايثاكا " وترمز هذه العودة بهذه الصورة في رأي الدارسين الى معتقد ديني كان سائدا بجزيرة " كريت " ما قبل الهيلينيين حيث كانت

---

(1) احسان عباس ، المرجع السابق ، ص 21 .

(2) فينلي ، عالم أوديسيوس ، المرجع السابق ، ص 46 .

- ورد في قاموس كيلي / فلا ماريون Quillet-Flammarion الصادر بباريس في 1981 / ان موكيناي "Myzēnes" مدينة اغريقية قديمة كانت مملكة لأغاممنون وقد ازدهرت بها حضارة اغريقية سبقت غزو الدوريين أي خلال القرنين 14 و 13 ق . م .

أرواح الموتى بمقتضى هذا المعتقد تنقل على أفلاك لتقوم برحلة محفوفة بالمخاطر والعواصف قبل أن تصل الى جزر السعداء حيث السعادة النهائية (1).

الا أن الأوديسية رغم كل ما قام به الدارسون من محاولة في البحث عن أصولها الأولى ، تعتبر دستورا للاغريق ، كما " أنها السجل الرسمي لعقيدتهم " (2).

(1) P-Robert la Littérature grecque " L'épopée- P. 23.

(2) د. عبد المعطي شعراوي ،أساطير الاغريق ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ،القاهرة ، 1982 ، ص 12 / 14 .

الفصل الثاني

أوجه التشابه والاختلاف

على مستوى الشخصيات

1) **أوجه التشابه على مستوى الشخصيات**

أما شخصيات القصتين ، فتجمع بينهما أوجه تشابه كثيرة هي الأخرى ، وخاصة بالنسبة للبطلين ، نذكر منها : ان السندباد العربي مثل أوديسيوس كانت نهايته سعيدة . فكل منهما يعود الى وطنه رغم المعاناة الطويلة التي كادت تودى بحياته . وفي هذا الصدد لا بأس من ايراد رأي أحد الدارسين وهو الأستاذ شكرى محمد عياد حيث يرى أن " الحكايات الشعبية قلما تتعرض لموت البطل لأنها تفضل أن تتركه في أوج السعادة حتى يأتيه هادم اللذات ومفرق الجماعات " (1) .

ونلاحظ من جهة أخرى أن البطلين كانا ايجابيين حيث أن السندباد العربي تحلى مثل أوديسيوس بالشجاعة والارادة ، وحكم عقله كلما تمكن من ذلك ، وكان مؤمنا بالقضاء وبالقدر ، فواجه كل منهما القوة المعادية للانسان برباطة جأش ، وتخلص من مخاوفه ، فانتصر السندباد مثلا على شيخ البحر ، واستطاع التخلص منه بعد أن كان تحت رحمته ، كما انتصر أوديسيوس على المردة " السيكلوب " ذوى العين الواحدة ، بعد أن كان حبيسا مع رفاقه لكبيرهم " بوليفيموس " ، وذلك عندما اهتدى بعد عناء كبير الى حيلة مكنته من أن يفقأ عين المارد الواحدة ويصبح هو سيد الموقف .

---

(1) د . شكرى محمد عياد ، البطل فى الادب والأساطير ، دار المعرفة القاهرة ، ط 2 1971 ، ص 125 .

ويتضح لنا من هذا أن انتصار البطلين كان ناجما عن فاعلية كل منهما ، حيث تخلصا من مخاوفهما وآمنا بقدرة الانسان في الذود عن حياته وفي صراعه من أجل البقاء .

ونلاحظ من جهة أخرى أن القصتين تركزان على شخصية البطل ، حيث يبحر كل منهما في جمع غفير من رفقاء الرحلة ، ولكن الأقدار تشاء أن يغرق كل هؤلاء الرفاق ، ويبقى البطل وحيدا يواجه العالم المخيف حوله ، الا أن القاص لايلبث أن يعيد بطله في كلا القصتين الى جو ملؤه الانس ولا يتركه يستمر في عزلته ليبقي على واقعية القصة .

تخبرنا القصة العربية أن بطلها خرج من بلاده بعد أن فقد ثروته وضاع منه مركزه فراح ينشد المعرفة ليرسخ تجاربه في الحياة ويسعى وراء الكسب ليسترجع مركزه في المجتمع ويعيد مجده السالف فتطلب كل ذلك منه تجاوزا لواقعه وترك المألوف واقداما على المغامرة والتضحية وتعريض النفس للمخاطر . وكذلك تخبرنا القصة اليونانية أن بطلها خرج من بلاده بعد أن ضاعت من الاغريق فاتنتهم " هلينا " فضاع بضياعها شرفهم وأهدرت كرامتهم فخرج أوديسيوس برفقة أبطال الاغريق قاطبة بحثا عن الشرف الضائع فتطلب منهم هذا تضحيات جسيمة ومغامرات كثيرة واقداما وشجاعة ليس

لهما مثيل من أجل استرجاع " هلينا " ، وكان في استرجاعها سالمة استرجاع لشرف الاغريق ولمجدهم السالف .

ففي القصتين اذا خرق من أجل استرجاع المجد السالف واستعادة المركز الاجتماعي المرموق .

ونلاحظ كذلك أن البطلين العربي واليوناني يسيطر عليهما الشعور بالحنين الى الوطن ، الى مسقط رأسهما ، فتدفعهما رغبة جارفة الى العودة الى وطنهما مهما كلفهما ذلك من تضحيات وترك للعروض والمغريات . فالسندباد مثلا ينجو من مصائبه ويلتحق بأقوام مختلفين ويندمج في المجتمعات الجديدة ويصبح ذا مال وجاه ويعرض عليه المكوث بهذه الأوطان ، الا أنه يأبى البقاء بعيدا عن وطنه ومدينته بغداد . ونسوق مثالا لموقف السندباد الرافض لكل ما من شأنه ان يثنيه عن العودة الى وطنه : عندما حل السندباد بقوم الملك المهرجان (1) عرض عليه الملك أن يبقى معهم مكرما معززا الا أنه رفض شاكرا ومعتذرا ، وعندما سنحت الفرصة ، عاد من فوره الى وطنه . كذلك عندما حل بمدينة القرود (2) كان بامكانه المكوث بهذه المدينة ولكنه رفض وقفل راجعا الى بلده مع أول مركب رسا بشاطئ المدينة الى غير ذلك من الفرص التي مكنت السندباد من أن يعيش بعيدا عن وطنه ينعم بالمال والجاه لو شاء .

---

(1) راجع الحكاية الأولى في ص 59/ 60 من هذا البحث.
(2) راجع الحكاية الخامسة ص 67/ 71 من هذا البحث.

كذلك الأمر بالنسبة لأوديسيوس ، فقد عرضت عليه الساحرة " سيرسة " عندما حل بجزيرتها ، المكوث معها والتزوج منها ليعيش في نعيم خيراتها ولكنه رفض وناشدها أن تساعده بكل ما أوتيت من قوة ليعود الى وطنه . كذلك فعل مع " كليبسو " عروس الماء التي حبسته عندها طيلة سنوات وعرضت عليه البقاء معها مقابل أن تمنحه الشباب والخلود ، ولكنه رضي بمصير الانسان المحدود ورفض العرض المغري . وتكرر رفض أوديسيوس للعروض المغرية عندما حل بأرض الفياكيين ، فقد عرض عليه الملك " الكينوس " ان يزوجه ابنته الوحيدة " نوسيكا " ويعيش بينهم سيدا الا أن البطل رفض مرة أخرى وأبى الا أن يعود الى أرض وطنه .

ونجد كذلك على مستوى التشابه بين البطلين ايمانهما بالقدر ، وقد تجلى هذا في وصف كل منهما للطبيعة الصاخبة المعادية للانسان ، فهي تصب عليه جم غضبها في عرض البحر ، فالرياح عاصفة والأمواج عاتية الا أن القدر يسعف البطلين دائما فييسر لهما موجة عاتية تقذف بهما الى شاطئ النجاة باحدى الجزر المتناثرة عبر البحر ، وهكذا يتكرر تدخل القدر في كل رحلات البطلين في صور مختلفة .

ومن صور التشابه بين القصتين على مستوى الشخصيات

انتصار البطلين على السحر والسحرة ، فالسندباد ينجو من السحرة في رحلته الرابعة (1) وأوديسيوس ينجو من الساحرة " سيرسة " في الرحلة التي قادته الى جزيرة " أيايا " ، ويعود البطلان من العالم السفلي عالم الأموات كما لم يسبق لانسان أن عاد منه .

وقد زخرت القصتان بذكر المرأة وتشابه وصف المرأة في القصة العربية بوصف المرأة في القصة اليونانية اذ أن صورة هذه الشخصية تجلت في نموذجين متناقضين ، فهي شريرة تارة وخيرة صالحة تارة أخرى . ففي قصة السندباد مثلا تتسبب المرأة التي اقترن بها البطل - دون أن يكون على معرفة سابقة بعادات أهلها - في دفنه حيا مما جلب له الحزن والألم واليأس ، فبدت المرأة هنا مصدرا لهمّ الرجل وغمّه ، الا أنها تجلت في كل عظمتها عندما تزن السندباد ثانية فأصبح بفضل المرأة صاحب المال والجاه كما أنها ساعدته برأيها السديد على الابتعاد عن الشياطين والعودة الى وطنه واسترجاع مركزه بين أهله .

وفي الأوديسية حبست عروس الماء " كليبسو" أوديسيوس وتسببت بأنانيتها المفرطة ، في حزنه وألمه ويأسه ، كذلك

---

(1) وهي الحكاية الرابعة ص 63/67 من هذا البحث .

جلبت الساحرة " سيرسة " له الهم والغم عندما مسخت رجاله خنازيز ، وأوحت للبطل بزيارة عالم الأموات وهي زيارة محفوفة بالأخطار ، الا أن المرأة تجلت في كل عظمتها في صورة " نوسيكا " بنت ملك الفياكيين " الكينوس " وهي التي ارشدت البطل الى قصر أبيها ، وفي صورة " بنيلوبي " زوجة أوديسيوس ، التي مكنته بوفائها واخلاصها البطولي من استرجاع ملكه ومركزه الاجتماعي وساعدته في القضاء على أعدائه الطامعين في عرشه . وهكذا تجلت المرأة في القصتين العربية واليونانية في صورتيها الايجابية والسلبية فكما قد تتسبب في ضياع الرجل قد تسببت كذلك في جلب السعادة والنعيم له .

ونلاحظ أيضا أن فكرة تبذير الأموال قد وردت في القصتين العربية واليونانية ، فقد يعثر السندباد كل أمواله ، وأضاع ثروته ، بعد وفاة والده ، مع رفاق السوء (1) كما كان أوديسيوس يعاني هو الآخر من هذه الظاهرة ، حيث كان غيابه الطويل عن وطنه فرصة للطامعين من الأمراء ، فانهالوا على ثرواته وخيراته يبددونها في ولائمهم اليومية دون رادع . (2)

ومما تجدر الاشارة اليه وجود شخصيات قد تبدو ثانوية

---

(1) ألف ليلة وليلة ، المصدر السابق الحكاية الأولى ، ص 139 .

(2) هوميروس ، الأوديسية ، ترجمة دريني خشبة ، المصدر السابق .

لأول وهلة ، ولكنها في الحقيقة شخصيات تؤدي أدوارا في القصتين لا يكتمل المعنى المقصود من كل قصة الا بها . وتتمثل هذه الشخصية في القصة العربية في السندباد البري الذي يقتات من حمل أثقال الناس، والسندباد البري ، على الصورة التي ورد بها في القصة العربية ، يجسد الصورة السلبية للسندباد البحري لو أنه لزم مكانه ، ولم يسع ، ويعرض نفسه للأخطار من أجل تغيير واقعه، فالسندباد البري يمثل مرحلة قعود واستسلام للظروف في حياة السندباد البحري ، وبهذا يمكن أن نعده مقابلا سلبيا للبطل في القصة التي لا يمكن أن يكتمل معناها بدونه .

أما الشخصية التي يمكن أن نعدها مقابلا سلبيا للبطل في القصة اليونانية ، فهي شخصية " تليماخوس " ابن البطل أوديسيوس، " فتليماخوس " يجسد مرحلة من حياة البطل قبل أن يشتد عوده وتحنكه التجارب ، ويصبح قادرا على حماية نفسه وذويه وعرشه ، وقد تسنى للبطل أن يصبح في مستوى طموحاته بفضل الغربة والجد والسعي والمثابرة والتحلي بالأمل والشجاعة والصبر .

2) <u>أوجه الاختلاف على مستوى الشخصيات</u>

هذا على مستوى التشابه فيما يخص شخصيات القصتين أما فيما يخص الاختلاف ، فنلاحظ أن البيئة الاجتماعية تلعب الدور

الحاسم في تمييز كل قصة عن الأخرى .

فقصة السندباد تعكس رغم ما تسلل اليها من المؤثرات الخارجية وضعا اجتماعيا عاشته البلاد العربية ، وخاصة البيئة العراقية التي كانت البصرة فيها مركزا للتجارة البحرية ، وكان انطلاق السندباد البحري في اتجاه العالم الواسع منها .

وكانت تصرفات البطل تبعا لذلك نابعة من واقع مركزه الاجتماعي ووضعه الطبقي ، فهو تاجر بحار قبل كل شيء وكان الهدف من أسفاره بالتالي جني المال مهما تقلبت به الأحوال ، وكيفما هددته الأخطار في رحلاته المختلفة . وقد أظهرت لنا الحكايات المتنوعة كيف أن السندباد كان يهتدى في أحلك الظروف – بفطرة التجار – الى ما يدر عليه المال الكثير دون أن يخطط لكسبه في الحقيقة . ففي الحكاية السابعة مثلا ، يتيه السندباد في احدى الجزر ثم يهتدى الى صنع فلك من خشب الصندل ، فيبحر به ثم يرسو بأحد الشواطيء فيأخذه بعض الرجال ويسلمونه الى شيخ المدينة ، واتفق فيما بعد أن خشب الصندل كان في هذه البلاد التي حل بها السندباد مصادفة ، كان بضاعة رائجة ، ففك الرجال الفلك وبيع خشبه بمبلغ عال جدا ، تسلمه السندباد وهو في غاية الدهشة .

أما بطل القصة اليونانية ، فلم يكن يسعه القيام بمثل هذه المبادلات التجارية وفقا لما يقتضيه النظام الاجتماعي الهوميرى حيث يحرم التجارة التي تسعى الى عدم المساواة في الفائدة (1) . وتبعا كذلك لما كان يقتضيه مركز البطل الاجتماعى وانتماؤه الطبقي حيث كان البطل ملكا قبل خروجه من ايثاكا فضلا عن أن سفرة أوديسيوس لم تكن سفرة تجارية .

كذلك يحدد الانتماء الطبقي لكل بطل الوسط الذى تجرى فيه الأحداث ، فالأوديسية تحدد لنا هذا الوسط في نوعين : النوع الأول هو الوسط الذى تجرى فيه الأحداث التي يعيشها البطل بين المردة فى بلاد السيكلوب وبلاد لستريجونيا ، والسحرة في جزيرة ايايا حيث الهة السحر " سيرسة "، وأبناء الآلهة " كليبسو " و" هرمس " أو أتباع الآلهة كراعية أغنام اله الشمس " لامبتيا " "Lampétie" ، والآلهة مثل " زوس" و" أبولون " وثبتون ". والنوع الثاني هو الوسط الذى يعيش البطل أحداثه بين الملوك كما حدث في بلاط الملك " الكينوس " بأرض الفياكيين ، الذين كان لهم بوصفهم سادة البحار ، الفضل في ارجاعه الى الوطن . لذلك كان من النادر أن نجد بطل الأوديسية يعيش بين أناس من الطبقة

---

(1) فينلى ، عالم أوديسيوس ، المرجع السابق ، ص 73.

الوسطى أو الدنيا ، من ذلك مثلا مثلا وقع له عندما نزل في " ايثاكا " ضيفا على راعي الخنازير ، يومايوس " الأمين ، الا أن الراعي نفسه ، بوصفه خادما لملك ايثاكا الغائب ، يذكرنا بمنزلة أوديسيوس وانتمائه .

أما بالنسبة للقصة العربية فرغم معايشة السندباد البحرى للمردة آكلى لحم البشر ، والسحرة الذين حولوا رفاقه الى بهائم ، والملوك مثل الملك المهرجان ، فان الطابع الغالب على الوسط الذى تجرى فيه الأحداث هو الطابع غير الارستقراطي ، ويمثل طبقة التجار فى أغلب الأحيان .

ونجد البطل فى قصة السندباد ، يتزوج مرتين ، ولكننا لانجد حديثا عن الأسرة والأولاد ، أما بطل الأوديسية فانه يتزوج مرة واحدة وهذا ما يتفق و " القاعدة المطلقة عند اليونان القدامى التي تقضي بالزواج بواحدة فقط (1) . كما نجد وصفا مستفيضا للأسرة وللحياة العائلية وصلات القربى وهذا ما يتفق أيضا مع النظام الاجتماعي اليوناني في القديم .

تطالعنا الأوديسية على مستوى الممارسات اليومية باهتمام اليونان ، وخاصة الأحرار منهم ، بالممارسات الرياضية كالتي (2) أظهرها أوديسيوس في بلاد الملك " الكينوس " ملك فياكيا ، والمهارات

---

(1) فينلى ، عالم أوديسيوس ، المرجع السابق ، ص 146 .

(2) هوميروس ، الأوديسية ، ترجمة دريني خشبة ، المرجع السابق ص 71/ 80 .

الفنية كالتي أبرزها أوديسيوس ورجاله في اصلاح السفن والقلاع وصنع الأفلاك في مختلف رحلاتهم ، والاهتمام بالأرض وتربية المواشي ، كما تطلعنا الأوديسية على بعض أعمال المرأة في البيت وسهرها على حسن سيره واهتمامها بالنسيج والطبخ .

أما القصة العربية فلا نعثر فيها على ذكر لمثل هذه الأنشطة المتنوعة للانسان ، بعيدا في بعض حكايات السندباد ، التي تخبرنا بمهارته في صنع السرور ، تلك المهارة التي نقلها البطل الى غيره ، أو التي تخبرنا بأنه صنع فلكا من خشب الصندل وأبحر عليه ليلتحق بالأمكنة المعمورة .

وتبعًا للانتماء الطبقي لكل بطل ، نجد في الأوديسية ما يشير الى الحياة العامة وحرية الرأي التي كان يحظى بها المجتمع، ويتجلى هذا في انعقاد الجمعيات العامة التي ورد ذكرها في الأوديسية أثناء وجود أوديسيوس في بلاد الملك " الكينوس " أو عندما أوحت " أثينا " الى " تليماخوس " ابن الملك التائه بالدعوة الى جمعية عامة في ايثاكا ، وكانت الجمعية العامة مقياسا للرأي العام عند هوميروس .

ولا شك أن القصة اليونانية تميزت عن القصة العربية في محاولتها لتحديد نوعية الحكم في المجتمع اليوناني من حيث ديمقراطيته ، نتيجة للمركز الاجتماعي الذي يمثله بطل القصة .

ولا نجد في قصة السندباد ، وصفا للمرأة المستهترة ،التي تسلك سلوكا مريبا يسمح بادانتها في المجتمع ، ولعل هذا يرجع الى أن هدف القصة لم يكن تعليميا . أما في الأوديسية فنجد الشاعر يطيل في وصف السلوكات المريبة للمرأة ومحاولاتها المتكررة المفرطة في الاغراء للايقاع بالرجل ، ذلك لأن عصر هوميروس على حد قول سليمان البستاني ، (1) " كان عصر فسق وفجور ، وقد شجبها هوميروس حتى في نفس الآلهة " .

وهنا تلتقي الأوديسية على ما يبدو بالتراث الانساني وأساطيره في الخلق ، من حيث انها تذكرنا باغراء حواء لآدم ،

وبما أن البطل في الملحمة يمثل قومه ويجسد طموحهم ، فقد أطلعتنا الأوديسية على أن زوجة البطل استمرت في انتظار زوجها رغم طول غيابه ، وأن ابنه لم ييأس كذلك من رجوعه ، وكان معهما الخدم الأمناء ، الذين ظلوا على عهدهم للأسرة المالكة . وكان أوديسيوس على علم بكل هذا قبل رجوعه الى وطنه عن طريق الكهانة ، ولذلك كان حافزا على تسلحه بالصبر والمثابرة ومواصلة الدرب والسعي من أجل الرجوع واسترجاع ما ضاع منه طيلة عشرين سنة غابها عن وطنه .

أما في القصة العربية فلا نجد صدى لكل هذا لأن السندباد

---

(1) هوميروس ، الالياذة ، تعريب سليمان البستاني ، دار المعرفة ، بيروت ، د ت ، المجلد 1 ص 56 .

بطل فردي يجسد طموح فئة من المجتمع ، هي فئة التجار ، كما يجسد مجد التجارة العربية .

اذا نحن انتقلنا الى قضية الالمام بالمعارف المتصلة بالبحر ، فاننا نجد أن البطولة الملحمية كانت تقتضي من أوديسيوس أن يكون مزودا بالمعلومات الكافية والكفيلة بمساعدته على تأدية دوره البطولي الخارق . فهو قائد السفن ، وكان يسعى دائما لمعرفة كل ما يمكن معرفته حتى يحتاط لنفسه أمام هذا الخضم الهائل ، الذى كان يهدد حياته في كل حين . وقد لجأ في محاولة ادراك أسرار البحر الى مواهب " سيرسة " الخارقة ، والى الكاهن المشهور " تيرزياس " ، الذى كان قد احتفظ بموهبته في قراءة صحف الغيب بعد انتقاله الى العالم السفلي (1) ، وهذا السعي للاحاطة بكل كبيرة وصغيرة ، هو الذى مكن أوديسيوس من رسم خط العودة الى وطنه .

أما السندباد ، فانه لم يكن في حاجة الى كل هذه المعارف ، فهو بطل فردي ، لم يكن قائدا لسفينة ، وكانت العودة ميسرة بالنسبة له دون أن تكون له هذه المعارف .

ومما لا شك فيه أن رحلة أوديسيوس تهدف الى التغني ببطولة الشعب اليوناني وأمجاده ، وابراز معتقداته ، وقيمه ومثله العليا ، والدفاع عنها ، ومن ثم بدا الاتجاه الأخلاقي

---

(1) هوميروس ، الأوديسية ، ترجمة دريني خشبة ، المصدر السابق ، ص 104/ 117 .

والتعليمي في الملحمة واضحا . فما من مقترف لجريمة الا ويلقى جزاءه ، وما من مخطئ الا ويدفع ضريبة خطئه . وقد رأينا في القصة كيف انتقم البطل ، عندما عاد الى " ايثاكا " لشرفه وكرامته وحرمة بيته وحق أسرته في العرش ، وبدلا من أن يثير هذا الانتقام الدامي ، الذي أقدم عليه البطل ، غضب الآلهة ، فانه لاقى تشجيعا منهم ، فتدخلت " أثينا " نفسها لمساعدته في القضاء على الأمراء العشاق .

ونجد في الملحمة كذلك الدعوة الى فعل الخير ودفع الشر والتنفير منه . فعفة " بنيلوبي " وفضائلها وسعي أوديسيوس وصبره على المحن ، كل ذلك يجازى في آخر الأمر باعادة جمع الشمل واستتباب السلم واسترجاع الثروة . وهكذا فكل من فعل خيرا وتحلى بالمبادئ السامية أمن سخط الآلهة وبما أن أوديسيوس كان ، بوصفه بطلا ملحميا ، يمثل قومه ويجسد قيمهم ، فعودته الى بلاده وعرشه كانت واجبة وعادلة ، فقد كان استمراره يعني استمرار القيم التي فطر عليها الشعب اليوناني .

أما اذا انتقلنا الى قصة السندباد فاننا لا نجد صدى لهذا الاتجاه الذي يحث على الأخلاق بل قد نجد العكس تماما ، اذ نرى البطل يعتمد في بعض الأحيان سياسة الغاية تبرر الوسيلة ، فعندما اكتشف بعد مدة في المغارة التي دفن فيها حيا مع زوجته ، ثقبا ، استطاع أن يخرج منه الى النور ،

آثر مصلحته الفردية عوض أن يساعد من دفنوا بعده أحياء ، ويهديهم الى هذا المخرج ، فتخلى عن بني جنسه ، وراح ينقض على كل حي يدفن ، فيقتله ليأخذ منه الزاد ، ويؤمن لنفسه البقاء على قيد الحياة ، وحتى بعد أن رست سفينة النجاة بالشاطيء المحادى للمدفن ، رجع الى المغارة لا لينقذ أحدا من الاحياء ، وانما ليتزود بالجواهر والحلي الثمينة من أجل مبادلاته التجارية . فهو اذن يضحي بكل انسانية وبكل مبدا من أجل الوصول الى غايته وتحقيق مصلحته الفردية لاغير ، وهكذا توارت انسانيته أمام حبه لذاته وحبه للمسادة .

ونجد السندباد في بعض حكاياته يذكرنا كذلك بالقول المشهور " اتق شر من أحسنت اليه " ، فقد ساعد شيخا عجوزا كاد يزهق روحه في النهاية لولا لطف الله به ، ثم اكتشف بعد فوات الأوان أنه مارد يسمى شيخ البحر .

لقد اشتهر البطل في القصة اليونانية بدهائه وحيله وذكائه وسعة مداركه مما جعله يفوق غيره من الرجال في جل الميادين اذا لم نقل في كل الميادين التي تبرز فيها القوة والحنكة والصبر وكذلك الجمال ، جمال المظهر أو الوسامة ، فقد كانت أثينا تلازمه في أحلك أوقاته وتضفي عليه من الوسامة ما يجعله يستهوي كليبسو عروس البحر ،

وسيرسة الهة السحر، وحتى نوسيكا بنت الملك الكينوس.

أما القصة العربية ، فان بطلها انسان عادي لايتصف بالصفات الخارقة التي تخرج البطل اليوناني في معظم الأحيان من دائرة البشر.

الفصل الثالث

المقارنة اللهجية

تقف القصتان العربية واليونانية على جسر متصدع بين الحقيقة والخيال ، ذلك أن القاص ، مهما تحكم في نسج خيوط القصة وجعلها تتسم بالواقعية ، لن تشد القارئ الى أرض الواقع فان الطابع الخرافي يسيطر على القصتين معا . ولعل ذلك يرجع الى " أن الرحلة أغرقت في خضم الرواية الأسطورية وانتشرت حولها القصص الخرافية المشحونة بالخيال المخيف الذى يثير الرعب والفزع فى النفس على أمل تخويف كل من تسول له نفسه اقتحام البحار والمحيطات والمغامرة فيها والاشتراك في أداء الدور الاقتصادى الذى أشبع البحارة ربحا وكسبا[1] .

تتكرر الأسفار في قصة السندباد ، وتتكرر معها الحكايات الا أن هذا التكرار لا يسمح بحال من الأحوال بالاستغناء عن بقية الحكايات بعد قراءة الحكاية الأولى أو أية حكاية أخرى من الحكايات السبع ، ذلك أن الهدف من القصة لا يتضح الا من خلال السفرات السبع كلها فالبطل لا يحصل على المال الذى سعى من أجله ، ولا تكتمل تجاربه وتزداد حنكته فيخلد الى الاستقرار والراحة ويبتعد عن كل معصية ، الا بعد أن يقوم بهذه السفرات كلها يضاف الى ذلك أن البطل لم يكن في امكانه ان يعلن توبته الا بعد هذه المعاناة الطويلة المريرة

---

(1) مجلة عالم الفكر ، المرجع السابق ، ص 19/ 20.

التي صورت فصولها في الحكايات السبع .

وهذا ما تلتقي فيه القصة العربية بالقصة اليونانية ، فدارس الأوديسية لا يمكنه أن يغفل أي فصل من فصولها المتسلسلة والا أخل بوحدتها ، ذلك أن الهدف من القصة الهوميرية والنتيجة التي انتهت اليها معاناة البطل الطويلة لا يمكن فهمهما الا بقراءة كل فصول هذه المغامرة الطويلة .

كذلك تلتقي القصة العربية بالقصة اليونانية بوجود الحكاية الاطارية ، أي الحكاية التي تمهد للقصة ، في كلتيهما .

ففي القصة العربية يخبرنا الراوي قبل انطلاق السندباد البحري في قص مغامراته ، أنه كان يعيش في قصر منيف ينعم فيه بالمال والغلمان . وذات يوم مر بباب القصر حمال ، كان قد نال منه التعب لثقل حمولته ، فأنزل الحمولة بالقرب من باب القصر ، ليرتاح قليلا ، الا أن رائحة زكية وانغاما مطربة تصاعدت من داخل البيت ، بيت السندباد البحرى فتقدم السندباد الحمال من البيت وأجال نظره داخله ، وعندها سبح باسم الله وراح ينشد اشعارا تعبر عن مدى فقره وشقائه ويأسه من الحياة الكريمة ، في حين ينعم غيره بحياة سعيدة . وتسللت أقواله المتحسرة الى مسامع السندباد البحرى فأمر باحضاره ، واحتفى بقدومه وأكرمه ، وأخبره بأن له قصة غريبة سوف يقصها عليه بكل تفاصيلها وهي القصة التي جعلته

يعيش في هذا النعيم (1) .

والأوديسية هي الأخرى تنطلق بفصل يطلعنا على وضعية القصر المزرية ، قصر الملك الحاكم الذى غاب منذ مدة ولم يعد ، كما يحدثنا هذا الفصل من الملحمة عما أقدم عليه أمراء المملكة الطامعون فى العرش من نهب ثروات الملك الغائب الذى خرج فى مهمة ، واستباحة حرم بيته ، والطمع فى النيل من شرفه بالحاحهم فى طلب الزواج من زوجته ، مستخدمين في ذلك أبشع الوسائل ، واقدام على وضع خطة لقتل ابنها " تليماخوس" الذى كان قد ترك وطنه ، وخرج يبحث عن أخبار أبيه (2) .

ويجدر بنا الاشارة لتدعيم الصلة بين القصتين العربية واليونانية ، الى أن حكايات السندباد لا تتسع نظرا لطبيعتها الشعبية لذكر الأحداث الكثيرة ، التى زخرت بها الملحمة اليونانية التي لايحدها زمان ولا مكان وتتمتع بالنفس الطويل والوصف الشامل ، ورغم ما ترسب منها في الذاكرة الشعبية العربية ، ونتيجة لذلك قد يرد في الحكاية الواحدة من حكايات السندباد اشارات الى بعض المواقف أو الصور التي وردت فى الأوديسية فى عدة حكايات لأوديسيوس ولنذكر

---

(1) ألف ليلة وليلة ، المصدر السابق ، ص 136 / 139 .

(2) هوميرس ، الأوديسية ، المرجع السابق ، ص 8 / 47 .

على سبيل المثال الا الحصر أن في الحكاية الثالثة للسندباد بعضا من تلك المواقف والصور التى وردت في الأوديسية خلال مغامرة أوديسيوس مع " السيكلوب " ثم مغامراته مع مردة " لسترجونيا " .

كذلك نجد مقابلا سلبيا لكل بطل في القصتين ففي قصة السندباد ، هناك السندباد البحرى الذى يقص فصول مغامراته على السندباد البرى أو الحمال ، وشخصية السندباد البرى ثابتة ، فهو رجل يقتات مما يجلبه من حمل اثقال الناس ، وهو قاعد مستسلم للظروف ، بينما نرى السندباد البحرى يخاطر بحياته ويترك بلاده ، فهو لا يستسلم للظروف ويسعى من أجل تغيير الواقع ، واقعه مؤمنا بأن التغيير ينتج عنه تطور وتقدم ، وأن من جد وجد ومن زرع حصد .

أما في الأوديسية فنجد بطلها كغيره من الاغريق لم يستسلم للظروف رغم قسوتها وصارع قوى خارقة من أجل نيل مراده ، وفي مقابل شخصية البطل الفذة ، نجد شخصية ثانية في القصة اتسمت بالسلبية تتمثل في شخص ابنه " تليماخوس " الذى لم يكن في مقدوره مواجهة الطامعين في ملك أبيه .

فالمقابل السلبي كما ورد في القصتين من الفنيات التي لجأ اليها القاص ليبرز قدرته على الايحاء بالمعاني التى يريد التعبير عنها .

ومما يعزى للبيئة الاجتماعية والمجال الثقافي فيهما على وجه الخصوص ان الشعر عند اليونان كان يحظى باهتمام كبير لما له من القدرة على تخليد مجد اليونان ومآثرهم وترسيخها في ذاكرة النشئ ، مما جعل هوميرس يفرد لهذا الابداع الشعرى في الأوديسية رحلة عبرت عن أهم مرحلة يمر بها هذا الابداع أو الخلق الفني ، ولقد تجلى ذلك عند مرور أوديسيوس ورجاله بالقرب من جزيرة " السيرينات " [1] ، عرائس البحر ملهمات الشعر . فكان على أوديسيوس أن يستمع الى شدوهن الساحر وهن ينشدن ذكره ، ويعددن مآثره دون أن يستسلم لهن بحيث يلحق بهن وتموت التجربة في مهدها . وقد عبر أوديسيوس عن التوتر الذى يمر به الشاعر في مهمة الابداع عندما طلب من رجاله أن يشدوا وثاقه حتى لايلحق " بالسيرينات " فيموت ، وبموته يضيع على الأجيال الآتية بعده ذكر قصته الشعرية وبشد وثاقه ، واضطرابه المؤقت داخل السفينة ، تسنى له أن يسمع لغناء " السيرينات " الساحر ، وتمكن فيما بعد من ترديده عندما رجع الى وطنه .

" فالسيرينات " رمز لخلق الشعر ، فلحظة التوتر تزول وتموت بمجرد ما يتم هذا الخلق الذى تتظافر فيه عدة عوامل .

وهنا تختلف الأوديسية عن القصة العربية التي لم [illegible]

---

(1) هوميروس ، الأوديسية ، المرجع السابق ، ص 118/ 128 .

شعرا بل كانت نثرا عاميا . ان القصة العربية تمثل في الواقع أدب الطبقة الوسطى ، التى يمثلها التجار راكبو البحار الذين كانوا وسطا بين الحكام من جهة والفقراء المعدمين من جهة أخرى ، ذلك " أن شخصية السندباد البحرى تمت بصلة الى عصر العباسيين ويرجح أنها أضيفت الى كتاب الليالي في زمن المنصور وكانت لها دلالتها لأن التجارة الدولية في ظل الدولة الكبيرة كانت في ابانها اذ كانت لها سوقها الداخلية الواسعة النشطة التي تدفع على ركوب غارب المغامرة والاتجار معا " (1) .

ولا تخلو قصة من هذه القصص من رمز ، وان بدا لنا من أول وهلة أن البطل يحترف التجارة بصفتها وسيلة لجلب المال . الا أننا نلاحظ أن المال لم يكن في حد ذاته غاية بقدر ما كان وسيلة لتحقيق السعادة ، وفرض الذات ، فالسندباد لايحدوه الى السفر المال وحده ، لأن المال توفر لديه منذ السفرة الأولى ، وانما يحدوه اليه تجاوز واقعه ، ومحاولة خوض تجارب الحياة ، سعيا لفهم أسرار هذا الوجود ، وتقلبات الدهر وكنه الحياة . ونلاحظ أن السندباد في سفرته السابعة والأخيرة ، التى توفر فيها على مال طائل ، ومركز اجتماعي

---

(1) احسان سركيس ، الثنائية فى ألف ليلة وليلة ، دار الطليعة ، بيروت ط 1 يناير 1979 ، ص 62 و 108/ 109 .

مرموق حين أصبح شيخا للمدينة خلقا لصهره المتوفى ، لايميل رغم هذا المال والمركز الى الاستقرار بين قوم كانوا أقرب الى الشياطين منهم الى البشر ، ويستمر فعلا في بحثه عن السعادة المطلقة ويعود في فلك مثل أوديسيوس ليستقر بتربه بلاده ، وينعم بالسعادة الأبدية ، التي لم يتمكن من الفوز بها رغم ما بذله من جهد وتضحية في دنياه . ألا ترمز هذه الرحلة ، التي ينشد فيها البطل السعادة المطلقة ، الى رحلة الانسان في الحياة الدنيا وما يكتنفها من غموض وصدف ومتاعب ومآس تجعل الانسان يتوق الى دنيا الخلود ، حيث الراحة الأبدية والسعادة النهائية، مهما كانت الأماني التي حققها الانسان في دنياه الزائلة ؟ .

هذا عن قصة السندباد العربية وما رمزت اليه على ما يبدو ، فالام ترمز الأوديسية ؟

لقد عرض الخطاب وأعداء بطل الأوديسية على زوجته " بنيلوبي " الزواج من أحدهم ولما كانت عاجزة عن الرفض علانية ، لأنها دون حماية ، فانها أوجدت حيلة، ردت بها كيد الطامعين ، فأخبرتهم أنها سوف تختار من بينهم زوجا فور انتهائها من نسج كفن " لايرتيس " المسن والد زوجها الغائب .

ألا ترمز هذه الحيلة الى أن أرض " ايثاكا " سوف تستباح حرمتها عند انتهاء آخر فرد من نسل أسرة أوديسيوس النبيلة

صاحبة العرش وصاحبة هذه الأرض ؟

هذا اذا ما وضعنا في اعتبارنا أن شخصية " بنيلوبي " ترمز الى الأرض فقط ، والخطاب المنافسين يمثلون الطامعين في الاستيلاء على العرش .

وانطلاقا من هذا يمكن أن تعتبر الرحلة رمزا لحقبة من حقب تاريخ جزيرة " ايثاكا " التي مرت فيها البلاد بمحنة كانت تتطلب من ملكها البطل أن يصمد أمام الأعداء في الداخل والخارج . وصموده في المعارك الخارجية كان كفيلا بضمان انتصاره في الداخل ، وكانت أعنف معركة واجهها أوديسيوس على ما يبدو هي معركته ضد " نبتون " اله البحر الذى يرمز في نظري الى أكبر قوة بحرية تصدت لملك " ايثاكا " وجيشه ، فكادت تبيدهما ، ولكن الملك البطل ينتصر بفضل حنكته ورجاحة عقله ويسحق أعداءه في الخارج ثم أعداءه في أرض الوطن ويصبح خير خلف لخير سلف ، ولا أدل على هذا من زيارة أوديسيوس لأبيه " لايرتيس " في ضيعته ولقائه به حيث يتعرف الأب على ابنه بعد طول غياب ، ويلتقى الماضي بالحاضر في مجدهما ، حيث تمت هذه الزيارة بعد أن استعاد أوديسيوس مركزه بالقضاء النهائي على منافسيه من الأمراء .

ولعل الملك "أكينوس" الذى كان يرمز الى قوة بحرية

هائلة واحد ممن آزروا ملك " ايثاكا " أوديسيوس في محنته يوم أصبح ملكه مهددا بالزوال على يد أعدائه من الأمراء الطامعين في تولي العرش، ويبدو أن هذا النزاع كان قد احتدم بين العائلات القديمة بسبب مطالبتها بحقها في العرش .

ومما يدعم هذه الرمزية في الرحلة الهوميرية كون البطل يحدد في كل حكاياته المدة التي يقيمها في مختلف الأمكنة التي يحل بها . ولعل البطل الهوميرى أمكنه تحديد مدة اقاماته المختلفة ، لأنه كان يعيش الحصار الذى فرضته عليه القوى المعادية له خارج الوطن . ولم يكن السندباد العربي في حاجة الى مثل هذا التحديد ، فاكتفى بتحديد مدة غيابه عن وطنه فى رحلته الأخيرة أى السابعة فقط فقال : انه دام سبعا وعشرين سنة . ماعدا ذلك فالزمن يطول ويقصر حسب رغبة القاص وميله الى تهويل الموقف وتكثيف الحدث ، حتى اننا نشعر تارة بانعدام الزمن في القصة العربية ، فينعدم شعورنا بواقعيتها .

ان وصف الشخصيات الثانوية يكاد ينعدم في القصة العربية ، ولكنه يتوفر فى القصة اليونانية بنسبة أكبر ، وهذا فيما يبدو وضع طبيعي ، لأن البطل في القصة العربية فردي ، بينما البطل فى القصة اليونانية ملحمي .

وكذلك لا يبدو وصف مشاعر السندباد البحري دقيقا :
فنحن نجده في كل الحكايات مفزوعا لأنه أحس بالضياع
وبالنهاية ، ثم يهدأ روعه بعد أن يوكل أمره الى الله،
ثم يعاوده الأمل فيستبشر بالنجاة وسرعان ما يتيسر له سبيل
العودة الى دياره من حيث لايدري وبطريقة غير منطقية.
فهو تماما ككل انسان في هذا الوجود ، يقلبه الدهر
فيتقلب معه ، دون ارادة منه أو رغبة الا في القليل النادر.

أما البطل الهوميرى فوصف مشاعره دقيق : فهو بطل
مغوار داهية ، محتال ، ذكي. تلم به النوائب وتقسو عليه
الأيام فتعلو وجهه مسحة دائمة من الحزن ، وهو لايفتأ
يضرع الى الآلهة لتساعده على التغلب على محنته ، وهو
في كل ذلك لا يفقد الأمل في مستقبل أفضل ، ويتحلى بالصبر
ويستمر في سعيه من أجل العودة ، دون أن توقفه
المغريات المختلفة،فالصدفة لا تخدمه بل يخدمه
التخطيط الذي يتم على يده أو بايعاز من الآلهة وخاصة
الهة الحكمة " اثينا " ورسول زوس " هرمس" .

هناك ذكر لليل والنهار في القصتين ، الا أن البطل
الهوميري يذكرنا باستمرار ، وفي كل الحالات ببزوغ الفجر
وطلوع الصباح وزوال النهار وحلول المساء وهبوط الليل الذي
يثير المخاوف وكأني ببطل الأوديسية أصبح يحس تحت وطأة

الزمان وثقل مرور الأيام بالغربة ، فيذكر لنا هذه التفاصيل عن معاناته التى طالت وغيابه عن دياره الذى طال حتى أصبح فوق طاقة احتماله . ومما يوحي به أيضا ذكر هذه الفترات من الليل والنهار ان في تعاقب الليل والنهار ما يبعث على الأمل ، لأن دوام الحال من المحال ولا يمكن أن يستمر الليل بصفة مطلقة ، وكذلك النهار ، وبالتالي لايمكن أن يستمر الشر أو الخير ، فالشر والخير يتعاقبان أيضا تماما كما لليل والنهار ، وعليه فلا يمكن أن يطول ليل أوديسيوس الى الأبد .

ونجد في الأوديسية حديثا متكررا عن الخلود ، الذى يمكن أن تمنحه كليبسو أو سيرسة للبطل ، ان قبل البقاء الأبدى مع احداهما ، ولكن البطل كما تخبرنا الملحمة يؤثر العودة الى وطنه وأهله على الخلود الذى تغريه به مرة عروس الماء كليبسو وأخرى الساحرة سيرسة ،أما في القصة العربية فلا نجد حديثا عن الخلود ، فالسندباد بطل مسلم ، والقصة ذات طابع اسلامي ، هذا من جهة ، الا أن موقف أوديسيوس يتفق من جهة أخرى مع هدف القصة ، ويؤكد انسانية البطل الذى لايرغب فى تغيير مصيره كفرد ولو قبل أوديسيوس عروض كليبسو أو سيرسة لأصبح بطلا الهيا وامحى فيه كل ما يخص البشر ومصير البشر .

ونلاحظ في القصتين ظاهرة التكرار ، فهناك تكرار في الكلمات ، وتكرار بعض الأحداث ، وتكرار في وصف بعض المشاعر ، وهذا التكرار يوحي لنا في بعض الاحيان برتابة الحياة ، وفي أحيان أخرى يوحي لنا بقسوة المعاناة ، وفي أحيان أخرى يوحي لنا باستمرار الحياة . فما دامت هناك حياة ، فهناك ذهاب وعودة ،معاناة وفرح ، هزيمة ونصر .

لقد بنيت الملحمة الهوميرية على أساس أن البطل يخرج من بلاده من أجل استرجاع مجد الاغريق ويعود بعد تيه طويل الى الوطن ليخوض معركة ضد منافسيه في العرش من أجل أن يسترجع مجده ويجمع شمل بيته . فالبطل يخرج في الأوديسية من أجل انقاذ الجماعة ويرجع من أجل انقاذ الجماعة أيضا .

أما في القصة العربية فيخرج البطل سعيا لنفسه ويرجع من أجل أن يفيد نفسه أولا ثم بعض أهاليه .

كذلك أوحت لنا الأوديسية بفكرة التطهير ، رغم نهايتها المأساوية . تطهير الأرض ممن يعيشون فيها فسادا عن طريق العبث بالقيم ، وهذا ما تجسد في تصرفات أمراء ايثاكا أثناء غياب الملك ، وتطهير النفوس التي بدأت تحس بوطأة الوضع المتدهور ،

وبدأ ينتابها القلق والشك في استمرار القيم فكان قضاء أوديسيوس على هؤلاء الأمراء العابثين بمثابة تخليص هذه النفوس من قلقها واعادة الأمور الى مجاريها .

في حين ان قصة السندباد لا توحي لنا بمثل هذه الفكرة أي فكرة التطهير . فالبطل في حكاية سفرته الأخيرة ، عندما علم أنه بين قوم شياطين لا يبذل أي جهد من أجل اصلاح الوضع بل يفر عائدا الى بغداد برفقة زوجته .

الخاتمة

لقد حاولت في هذا البحث أن أقوم بدراسة مقارنة لأثرين خالدين هما قصة " السندباد البحري " من ألف ليلة وليلة العربية والملحمة اليونانية " أوديسية " هوميروس . وقد حاولت ان أعرف بالقصتين وأن أبين الصلة التي ربطت بينهما ، تلك الصلة التي أشار اليها كثير من الدارسين ، أذكر من بينهم الباحث النمساوي " فون غرونباوم " ، والمستشرق الفرنسي " أندري ميكال " ، والباحث العربي " احسان عباس" .

وقد تدعم هذه الصلة قرائن كثيرة استطعت من خلال عرض لطبيعة كل قصة وتأريخ تأليفها وتحديد منزلتها في التراث القومي والتراث العالمي وتقديم ملخص لكل قصة ، استطعت أن استخلص أوجه تشابه وأوجه اختلاف بين القصتين يمكن ايجازها في السطور التالية .

فعن أوجه التشابه بين القصتين ، فقد تمثلت في حديث القصتين عن الرحلة البحرية وصراع الانسان مع البحر والمخلوقات العجيبة . وهذه الرحلة لم يكن المقصود منها التغيير المكاني ، بل هناك ظروف اجتماعية ونفسية دفعت البطلين الى الرحيل . ولهذا فشلت المجهودات التي حاولت رسم خريطة جغرافية للرحلتين . كذلك لم تتوفر القصتان على شروط الاعداد

لأن ابحار البطلين كان استجابة للقدر لا بدافع الارادة الواعية .

لاحظت أيضا أن في القصتين سعيا حثيثا من طرف البطلين من أجل البقاء ودفاعا عن الحياة وذلك بتجديد الأمل وخوض التجارب بشجاعة . واذا كان السندباد قد فقد رفاقه غرقا عندما غاصت بهم السمكة التى أوقدوا على ظهرها النار لطهي الطعام ، فأوديسيوس هو الآخر فقد رجاله غرقا أيضا عندما أرسل زوس ريحا عاتية عصفت بسفنهم بعد أن أوقدوا نارا بجزيرة اله الشمس لشواء وأكل لحم الأغنام المحرمة .
وقد تسبب النوم الذى يستسلم له البطلان من كثرة التعب فى ضياع الهدف المنشود . فالسندباد فرض عليه التيه بعد أن صعد الى جزيرة ونام قليلا فأقلع المركب وتركه وحيدا فى الجزيرة ، كما فرض التيه على أوديسيوس ايضا عندما نام قليلا وكان على مقربة من وطنه ففتح رجاله العلبة التى تحبس باحكام الرياح والعواصف والتى سلمه اياها ملك الأيوليين .وقد تخلص البطلان من المردة آكلي لحم البشر بعدان افقداهم البصر . كذلك عاشر البطلان السحرة ومسخ رفاقهما بهائم ، وزارا بعد ذلك عالم الأموات ورجعا منه سالمين . وكما تعرض رجال أوديسيوس فى غفلة من قائدهم الى مواشي اله الشمس فصادوا منها وذبحوا وشووا وأكلوا لحمها فهلكوا جميعا ، كذلك هلك رفاق السندباد على اثر تعرضهم

لبيضة طائر الرخ عندما كسروها وسحبوا منها الفرخ وأكلوا لحمه . فالتعرض للمحرمات حصل في القصتين ونتج عنه الانتقام من المعتدين فأدى هذا الى هلاكهم غرقا ولم ينج الا البطلان بواسطة قطعة من حطام المراكب .

وقد تشابهت القصتان عندما حبست كليبسو أوديسيوس وفرضت عليه نمط معيشتها كما حبس شيخ البحر السندباد وفرض عليه معاناة مريرة .

وكما صنع السندباد فلكا وأبحر فيه ليلتحق بجزيرة وكان نائما من شدة التعب واستيقظ على صوت عمال الحقول الذين أسعفوه وقدموه الى ملكهم فأكرمه وساعده لحين عودته الى الوطن ، كذلك صنع أوديسيوس فلكا وأبحر على متنه بعد خلاصه من كليبسو والتحق بجزيرة الفياكيين واستسلم للنوم على الشاطئ من شدة الارهاق واستيقظ على صوت ابنة الملك التي دلته على قصر أبيها فاستقبله وأكرمه وساعده على العودة الى الوطن .

وقد انتصر السندباد على قوم الشياطين بذكر الله وعاد الى وطنه ليعيش مع زوجته الصالحة ، كما انتصر أوديسيوس على أعدائه العصاة بفضل الآلهة وخاصة آثينا وعاش بعد ذلك

فى أمان يرعي ملكه وأسرته .

ومما يلاحظ أيضا أن الحنين الى الوطن يسيطر على البطلين فيضحيان فى سبيل العودة اليه بكل غال ونفيس .

كما أنهما يؤمنان بالقدر الذى يتدخل فى رحلاتهما في صور مختلفة .

أما عن المرأة فقد ورد وصفها في القصتين على صورتيها الايجابية والسلبية كما ورد المقابل السلبي للبطلين في القصتين . وكانت نهاية البطلين سعيدة رغم الاخطار التي تعرضا لها .

أما عن أوجه الاختلاف بين القصتين فهي عديدة منها الطابع العقائدى لكل قصه،اذان طابع قصة السندباد اسلامي ولهذا لانجد فيها صدى لما تقدمه الملحمة الهوميرية من تصوير للمعتقدات اليونانية كتعدد الآلهة وسيطرتها على البشر وتقديم القرابين الخ ...

كما أنه لم يرد في القصة العربية وصف للعالم الآخر ، بينما ورد وصف العالم السفلي في القصة اليونانية وفق المعتقدات اليونانية . ولا يسعى السندباد لمعرفة الغيب لأنه يؤمن أن هذا الأمر من اختصاص الله وحده ، في حين يزور أوديسيوس عالم الأموات من أجل الاتصال ببعض أرواح الموتي

والاطلاع على صحف الغيب. وقد وصفت الطبيعة في القصة العربية على أنها معادية للانسان تارة وتارة أخرى تصبح مأوى له تحميه مما يهدده ، أما في القصة اليونانية فعداء الطبيعة للانسان دائم . وقد استخدم السندباد الفضاء بهدف النجاة أما أوديسيوس فالتحليق في الفضاء يقتصر عنده على الآلهة .

واذا كان التعرض للمحرمات في الأوديسية تم بدافع الحاجة فقد كان في القصة العربية اندفاع وطيشا .

وقد ورد ذكر المردة اكلي البشر في القصتين ، الا أن المارد في الأوديسية له عين واحدة (السيكلوب) والمارد في القصة العربية له عينان .

اما عن السحر وممارسته ، والانتصار على السحرة فقد ورد في القصتين ، الا أن هذا الانتصار يخص البطل وحده في قصة السندباد بينما يعني ، في القصة اليونانية ، البطل ورجاله .

واذا كانت سفرة السندباد تجارية فان سفرة أوديسيوس لم تكن كذلك .

ويختلف الانتماء الطبقي لأوديسيوس الملك عن الانتماء الطبقي للسندباد التاجر ، وانتماء كل منهما هو الذي حدد الوسط الذي تجرى فيه الأحداث في القصتين .

واذا كنا نجد في الأوديسة حديثا عن الأسرة والأولاد

والحياة العائلية وصلات القربى ، فلا نجد ذلك في القصة العربية .

وقد ورد في الأوديسية ذكر اهتمامات اليونان اليومية وممارساتهم في جميع المجالات ، ولا نجد ذكرا لهذا في القصة العربية ما عدا ذكر بعض مهارات السندباد كصنع السرج مثلا .

وقد جاء في الأوديسية وصف للمرأة المستهترة بالقيم ولا نجد صدى لهذا في قصة السندباد .

كما أن في الأوديسية حثا على الاخلاق ولا نجد شيئا من ذلك في قصة السندباد .

أما من الناحية الفنية ، فقد تميزت كل قصة عن الأخرى على مستوى الشكل ، فالقصة اليونانية قيلت شعرا والقصة العربية نثرا . ما عدا ذلك نلاحظ أن الطابع الخرافي يسيطر على القصتين ، وانه لايمكن الاستغناء عن أي جزء من القصة الا على حساب وحدتها واكتمال فهمها لدى الدارس .

هذا وقد توفرت القصتان على الحكاية الاطارية أي التمهيدية وعلى طاقة ايحائية أو رمزية .

وبعد ذكر أوجه التشابه استنتجت أن مواطن اللقاء بين الأثرين أصبحت واضحة وهذا ما يؤكد صلة القاص العربي

بالأثر اليوناني سواء بطريقة مباشرة أو غير مباشرة .
الا أن التشابه بين الأثرين لا يمكن أن يخفي معالم أصالة كل أثر وهذا ما تؤكده أوجه الاختلاف الواضحة بين الأثرين ، فالأثر العربي لا شك اعتمد على الأثر اليوناني الا أن المادة التي انتقلت من الأوديسية الى قصة السندباد تم طمس أكثر الدلالات الوثنية فيها حتى تنسجم مع واقع القاص العربي وانتمائه العقائدي مما جعل محاولة التقريب بين الأثرين تبدو شائكة بالنسبة لأكثر الدارسين .

قائمة المصادر و المراجع

المصادر باللغة العربية :

1) الف ليلة وليلة : المكتبة الثقافية ، بيروت ، لبنان ، 1979 ، المجلد الثالث .

2) الف ليلة وليلة : دار العودة للصحافة والطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، د . ت ، المجلد الثاني .

3) الف ليلة وليلة : مطبعة محمد علي صبيح ، القاهرة ، مصر ، د . ت ، المجلد الثالث .

4) هوميروس : الأوديسية ، ترجمة أمين سلامة ، دار الفكر العربي ، ط 2 ، 1977 / 1978 .

5) هوميروس : الأوديسية ، ترجمة دريني خشبة ، دار الهلال ، القاهرة ، يناير 1970 ، العدد 253 .

المراجع باللغة العربية :

1) آرنولد سيرتوماس : تراث الاسلام ، تعريب جرجيس فتح الله ، دار الطليعة ، بيروت ، ط 3 ، 1978 .

2) أوليري د ي لاسي : الفكر العربي ومركزه في التاريخ ، ترجمة اسماعيل البيطار ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، علوم اليونان وسبل انتقالها الى العرب ، ترجمة وهيب كامل ، مراجعة زكي علي ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، 1962 .

3) أميــن أحمــد : فجــر الاسلام ، مكتبــة النهضة المصريــة القــاهــرة ،
ط 11 ، 1975 .

4) ايمــارانــدري وأوبوايه جانين : تاريخ الحضارات العام . المجلد الأول " الشرق
واليونــان القــديمــة " ترجمــة
فريــد داغر وفؤاد ابو ريحــان ، منشــورات
عــويــدات ، بيــروت . باريس ، ط 2 ، 1981 .

5) بــاورا س . م . : الادب اليونــانــي القــديم ، ترجمة م . ع زيــد ، مراجعة
د/ صقر خفــاجــة .

6) بــربــارة فؤاد جرجي : الاسطــورة اليونــانية ، مطــابع وزارة الثقــافة والارشاد
القــومــي ، دمشــق ، 1966 .

7) بروكلمان كــــارل : تاريــخ الأدب العربــي ، ترجمة عبد الحليم النجــار ،
دار المعــارف ، مصــر ، ط 4 ، ج 3 ، 1977 .

8) البيــرونــي ابو الريحان : تحقيــق ما للهنــد ، عالــم الكتــب ، بيروت ، 1975 .

9) خفــاجة محمــد صقــر : هوميــروس ، مكتبة نهضــة مصــر ، القاهرة ، 1957 .

10) داوود أنــــس : الأسطــورة فــي الشعــر العربــي الحديــــث ،
مكتبــة عيــن شمــس ، مصــر ، 1975 .

11) ســركيــس احســـان : الثنائيــة فــي ألف ليلــة وليلة ، دار الطليعــــة ،
بيــروت ، ط 1 ، 1979 .

12) ســلامــة أميــــن : معجــم الاعــلام ، دار الفكــر العربــي ، 1955 .

13) شــريــط عبــد اللــه : تاريــخ الثقافة والأدب فى الشــرق والغــــرب ،
المــؤسســة الوطنيــة للكتــاب الجزائر ، ط 3 ،
1983 .

14) شعراوى عبد المعطي : أساطير الاغريق ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1982 .

15) عباس احسان : ملامح يونانية في الأدب العربي ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت 1977 .

16) عبد الحكيم حسان : أعمال الملتقي الدولي حول الأدب المقارن عند العرب المحاضرة بعنوان " صلات الأدب العربي بالآداب الاجنبية " ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1985 .

17) عبد الحكيم شوقي : موسوعة الفولكلور والأساطير العربية ، دار العودة ، بيروت ، ط 1 ، 1982 .

18) عياد محمد شكرى : البطل في الأدب والاساطير ، دار المعرفة ، القاهرة ، ط 2 ، 1971 .

19) فلهوزن يوليوس : تاريخ الدولة العربية من ظهور الاسلام الى نهاية الدولة الأموية ، ترجمة د/ محمد عبد الهادى ابو ريده ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، 1958 .

20) فينلي (م . ا) : عالم أوديسيوس ، ترجمة حلمى عبد الواحد خضرة ، مراجعة محمد سليم سالم ، دار نهضة مصر ، سلسلة الألف كتاب (616) .

21) القلماوى سهير : الف ليلة وليلة ، دار المعارف بمصر ، ط 4 ، 1976 .

22) كامل مراد والبكرى محمد حمدى : تاريخ الأدب السرياني من نشأته الى الفتح الاسلامي ، مطبعة المقتطف والمقطم بمصر ، 1949.

23) كريمر صموئيل نوح : السومريون " تاريخهم وحضارتهم وخصائصهم " ترجمة د/ فيصل الوائلى ، وكالة المطبوعات الكويت ، د . ت .

24) كفافي محمد عبد السلام : في الأدب المقارن ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ط 1 ، 1972 .

25) ليتمان : ألف ليلة وليلة ، دراسة وتحليل ، تر . لجنة ترجمة دائرة المعارف الاسلامية ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 1982.

26) هلال محمد غنيمي : الأدب المقارن ، مطابع سبل العرب ، القاهرة ، ط 2 ، 1970 .

27) هوميروس : الالياذة ، تعريب سليمان البستاني ، دار المعرفة ، بيروت ، الجزء الأول .

28) وافي علي عبد الواحد : الأدب اليونانى القديم ، دار المعارف بمصر ، القاهرة .

29) يونس عبد الحميد : دفاع عن الفولكلور ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، 1973 .

30) الموسوعة الاسلامية .

الـدوريـــات

1) مجلـة عـالـم الفكـر، أدب الـرحـلات ، وزارة الاعـلام ، الكـويـــت ، العـدد 4 ، المجلـــد 13 .

2) مجلـة الهــلال ، أدب الرحـــلات ، دار الهـــلال ، القـاهـرة ، مصـر ، عـــدد 7 ، يـوليـــو 1975 .

المصـــادر و المـــراجـــع الأجنبيـــة

1- HOMERE - L'ODYSSEE - Traduction de Victor BERARD-Ed.Armand collin-Paris -1931.

2-Les Mille et une nuits-Traduction de A.GALLAND-Edition G.PICARD revue et préfacée-Ed Garnier Frères.Paris-1960-TOME I.

1- ANDRE Miquel-Sept Contes des Mille et une nuits- Edition SINDBAD-Paris- 1981.

2- Claude PICHOIS et A.M. Rousseau - la Littérature Comparée-Collection U 2 - Ed A.Collin-3e.Edition -1967.

3- Dictionnaire Quillet-FLAMMARION -Paris-1981.

4- Edith HAMILTON-La Mythologie- Ed.MARABOUT-Verviers.France-1978.

5- GABRIEL Germain - Génése de L'Odyssée-P.U.F 1re Ed .1954.

6- HOMERE-L'Iliade-Traduction MARIO Meunier-Ed.ALBIN MICHEL.Paris-1956.

7-M.F. GUYARD.La Littérature Compareé.P.U.F. Collection Que sais-je? Paris- 5é.Edition-1969.

8-MAURICE Bouisson-Le Secret de SHERAZADE-Ed.Flammarion.Paris-1961.

9-P.ROBERT -La Littérature grecque.

10-Victor Bérard-Les Navigations d'Ulysse-Librairie A.Collin-Nouvelle édition 1971-4 Tomes(ITHAQUE-PENELOPE-NAUSICAA-CALYPSO).

11-VON GRUNBAUM-ISLAM MEDIEVAL-Traduction Odile Mayot-Paris-1962.

فهـــــــرس الأعــــلام

هـوميـروس: ص36 - 37 - 39 - 40 - 43 - 44 - 45 - 46 - 81 - 131 - 132 - 142 - 151 .

هلينـا : ص 47 - 48 - 52 - 122 - 123 .

يـومـايـوس: ص51 - 103 - 130 .

يـونـان : ص 118 .

فهـــرس الأمـــاكـــن

(1)

تصحيح الأخطاء

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
04	11	غبير	غير
05	15	من أن أحصل	من أجل أن أحصل
05	20	بعس	بعض
07	01	قصل	فصل
07	10	التفاخر	التفاخر
07	20	غوتة	غوته
10	4	عاس	عاش
11	19	المتأتية	المتأنية
12	04	متأترا	متأثرا
13	05	الأبيس	الأبيض
13	11	مدنبات	مدنيات
15	03	وثيقبة	وثيقة
16	19	النوية	النوبة
17	07	التاريجية	التاريخية
22	07	بعس	بعض
24	06	مم	من

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
25	08	حذث	حدث
27	12	بعس	بعض
29	02	العربتة	العربية
30	15	العنصر	العنصرين
35	08	الاستعمارة	الاستعمارة
36	10	كتابة	كتابه
36	15	نمز	نمو
39	18	التوجيد	التوحيد
42	08	الأبيص	الأبيض
43	07	الباحتون	الباحثون
43	14	اعتراصين	اعتراضين
45	12	الملاحم	الملاحم
47	05	جيل	جبل
48	08	يرفقة	برفقة
50	09	ترفص	ترقص
51	14	نحرية	سخرية
54	13	وسفة	وصفه

(3)

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
54	13	بعس	بعض
56	16	بعص	بعض
60	06	فجز	فجهّز
61	08	انقص	انقض
62	10	نهص	نهض
63	06	الأرص	الأرض
67	19	رما	رماة
68	14	الأرص	الأرض
68	14	نهص	نهض
71	18	سند بلاد	السند بلاد
73	14	داود	داوود
75	11	منما	منهما
75	18	لاه	لامه
84	20	يرمر	يرمز
91	10	أكل	آكل
92	20	66 / 62	67 / 63
94	16	الأحدات	الأحداث
96	20	70 / 66 ص	71 / 67 ص
97	17	خياشيه	خياشيمه
99	10	انشا	انشاه
101	07	أخصته	اخضعته
102	20	72 / 70 ص	73 / 71 ص
103	09	مد	مدّة

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
103	21	ص 72/ 75	ص 63 / 76
106	13	ليجد	ليجدّد
108	08	بعص	بعض
108	10	بطر	بطل
110	10	الغرص	الغرض
110	16	تعرص	تعرّض
111	01	قنه	كنة
111	12	سخرت	سخرت
113	01	استجلبة	استجابة
121	01	بينا	بينهما
121	07	تتعر	تتعرض
121	11	القضا	القضاء
122	15	تعريص	تعريض
123	19	الجه	الجاه
124	08	للعرض	للعروض
124	14	جسم	جسام
126	10	تسبيت	تتسبّب
130	14	مستقلّينا	مستغلّيا
131	01	ابنوزها	أبرزها
134	16	صة	قصة
134	17	تمام	تماما
135	10	بعس	بعض
138	01	جزء من السطر غير واضح	جسر يجمع بين الحقيقة

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
140	05	العرس	العرش
141	01	الا	لا
145	السطر الأخير	أكينوس	ألكينوس
151	السطر الأخير	الكلمة الآخيرة مفقودة	للرحلة
152	04	رقاقة	رقاقه
152	15	الأيونيين	الأيوليين
152	16	البحر	البصر
154	04	يؤمان	يؤمنان
155	07	اندفاع	اندفاعا
156	السطر الأخير	دلة	صلة

فهـــــرس البحـــــث

التعريف باعمال الباحثة

المشاركة في ملتقيين

الملتقي الأول : ملتقي حول " الأدب المقارن عند العرب " عقد
بعنابة في ماى 1983 وقد شاركت فيه بمحاولة
عنونها " صور من التشابه بين القصص
الشعبي العربي واليوناني " .
وقد صدر كتيب باعمال الملتقى عن ديوان المطبوعات
الجامعية .

الملتقي الثاني : ملتقي المقارنين العرب عقد بعنابة في
جويلية 1984 وقد شاركت فيه بمحاضرة
عنوانها " **من أجل مفهوم عربي لمصطلح**
أدب مقارن " (نشرت المحاضرة في جريدة
الجمهورية كتب عنها تعليق في مجلة
اضواء الاسبوعية) . وستصدر اعمال
هذا الملتقي قريبا عن ديوان المطبوعات الجامعية .

- انجز حاليا ترجمة من الفرنسية الى العربية لجزء من كتاب
" ما الأدب المقارن " (بالتعاون مع زميلين مدرسين بالمعهد) لكلود بيشوا
واندري روسو وبيار برينال .
Qu'est-ce que la littérature Compareé ?
de-Cl.. Pichois, A.M. ROUSEEAU et P. Brunel.